الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة الأربعون
ذو الحجة ١٤٤٧هـ
حزيران ٢٠٢٦م
العدد
٤٧٩

كلمة الوعي

الحج
بين مسؤولية الخلفاء وتضييق الأنظمة المعاصرة على الرعية

الأستاذ وائل السلطان

من موسم الحج إلى بناء الدولة
التخطيط الاستراتيجي لصناعة الحضارة

المهندس وسام الأطرش

الولايات المتحدة الأمريكية تيسّر التعاون بين كيان يهود والدولة الهندوسية لضمان استمرار السيطرة على الأمة الإسلامية

الأستاذ محمد عبد الله

اشتغال المسلمين بقضاياهم تكليف وتشريف

الأستاذة عائشة الزعتري

الحرب الأمريكية على إيران وأزمة النظام العالمي

الأستاذ بهاء الحسيني

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: الحج بين مسؤولية الخلفاء وتضييق الأنظمة المعاصرة على الرعية — الأستاذ وائل سلطان — ٣
- من موسم الحج إلى بناء الدولة التخطيط الاستراتيجي لصناعة الحضارة — المهندس وسام الأطرش — ٦
- الحرب الأمريكية على إيران وأزمة النظام العالمي — الأستاذ بهاء الحسيني — ١٦
- الولايات المتحدة الأمريكية تُيسِّر التعاون بين كيان يهود والدولة الهندوسية لضمان استمرار السيطرة على الأمة الإسلامية (مترجم) — الأستاذ محمد عبد الله — ١٩
- اشتغال المسلمين بقضاياهم تكليف وتشريف — الأستاذة عائشة الزعتري — ٢٢
- حين تتكرر فرعونية الطغيان، بين غفلة الأمة وواجب التغيير — الأستاذ عبد السلام البدري — ٢٩
- رياض الجنة: خُبَيْبُ بْنُ عَدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — المهندس شفيق خميس — ٣١
- مع القرآن الكريم: من أحكام الطريقة: علاقة الدولة مع المشركين — الأستاذ خليفة محمد — ٣٣
- أخبار المسلمين في العالم — ٣٦
- مرادفات الخوف في القرآن الكريم وعلاقة ذلك ببلاغته — الأستاذة عائشة الزعتري — ٤١
- من أرشيف الوعي القوة الروحية أكثر القوى تأثيراً — الأستاذ أحمد الطرابلسي — ٤٨
- كلمة أخيرة: ما يُسمّى بيومِ النَكْبَة ١٩٤٨ — الأستاذ حمد طبيب — ٥١
- غلاف أخير: وزير الخارجية التركي «فيدان» ينضم إلى جوقة الحكام الداعين إلى السلام والتطبيع! — ٥٢

الحج بين مسؤولية الخلفاء وتضييق الأنظمة المعاصرة على الرعية

وائل السلطان

منذ أن رفع إبراهيم قواعد البيت الحرام، وأذّن في الناس بالحج، بقيت هذه الشعيرة واحدة من أعظم المظاهر الجامعة للأمة الإسلامية، إذ يلتقي المسلمون فيها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم في مقصد تعبدي واحد، يخلعون فيه مظاهر التفاوت الدنيوي، ويقفون بين يدي الله حفاة القلوب من زينة الدنيا وكبريائها. والحج في جوهره ليس مجرد رحلة دينية تؤدى فيها طقوس مخصوصة، بل هو إعلان متجدد عن وحدة الأمة وخضوعها لله وحده، ولهذا كانت رعاية الحج عبر التاريخ الإسلامي جزءًا من صميم مسؤولية الخليفة أو الإمام تجاه الرعية.

لقد فهم الخلفاء الأوائل هذا المعنى بعمق، فلم ينظروا إلى الحج باعتباره عبئًا إداريًا أو موسمًا اقتصاديًا، بل عدّوه أمانة شرعية، يُسألون عنها أمام الله قبل أن يُسألوا عنها أمام الناس. ولذلك ارتبطت هيبة دولة الخلافة تاريخيًا بقدرتها على حماية الحرمين وتأمين طرق الحج وخدمة الحجاج. وكانت كتب السياسة الشرعية والفقه السلطاني تَعُدّ "إقامة الحج" من أعظم وظائف الإمام، حتى ذكر الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية أن من واجبات الخليفة: «تسيير الحجيج، وحماية الطرق، وإقامة الموسم، ومنع الظلم عن الناس».

ولم يكن هذا الكلام نظريًا مجردًا، بل انعكس في سلوك الخلفاء أنفسهم. فقد كان أبو بكر الصديق أميرًا على الحج في حياة النبي ﷺ، ثم استمر الخلفاء بعده يولون الحج اهتمامًا بالغًا. وكان عمر بن الخطاب شديد العناية بأحوال الحجاج، يتفقد الطرق، ويراقب الولاة، ويخشى أن يتعرض مسلم للظلم أو المشقة في سفره إلى بيت الله. وقد اشتهر عنه شعوره العميق بالمسؤولية حتى قال: «لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها لِمَ لمْ تمهّد لها الطريق يا عمر»، فكيف بمن يقصد بيت الله الحرام في رحلة شاقة عبر الصحاري والمهالك؟

ومن يقرأ تاريخ دولة الخلافة يدرك أن قضية الحج لم تكن قَطُّ هامشية. فقد أنفقت الدولة أموالًا طائلة على شق الطرق، وبناء الاستراحات، وحفر الآبار، وتأمين الحماية العسكرية لقوافل الحجيج. وكانت قوافل الحج الكبرى من العراق والشام ومصر واليمن تسير تحت حماية الدولة ورعايتها، لأن الاعتداء على الحجاج أو تركهم فريسة للخوف والجوع والعطش كان يُعد فضيحة سياسية للحاكم نفسه. بل إن بعض الخلفاء كانوا يخرجون مع الناس في الحج، لا استعراضًا للسلطة، وإنما مشاركة للرعية في الشعيرة، وإشعارًا لهم بأن الإمام ليس منفصلًا عن الأمة.

وفي العصر العباسي بلغت العناية بالحج مستوى بالغًا من التنظيم والرعاية، فأنشئت المنازل والمحطات على طرق الحج، ووُضعت العلامات الإرشادية، وأقيمت السقايات، بل كانت بعض النساء من أهل الدولة يتسابقن في أعمال البر المتعلقة بالحجيج، ومن أشهرهن زبيدة بنت جعفر التي أنفقت أموالًا عظيمة في إنشاء مشروع "عين زبيدة" لتوفير الماء للحجاج في مكة والمشاعر

المقدسة. ولم يكن ذلك كله طلبًا لمردود اقتصادي أو دعائي، وإنما كان شعورًا بأن خدمة الحجيج من أعظم القربات وأجلّ مسؤوليات الحكم.

لقد كان الخلفاء يدركون أن الحاج ضيف على الله، وأن الدولة ليست مالكة للحرمين، بل خادمة لهما. ولهذا كانت لغة الخدمة والرعاية هي الغالبة على الخليفة تجاه الحج، لا لغة الامتياز والسيادة والتحكم. وكان الناس، رغم مشقة السفر وخطر الطرق في الأزمنة القديمة، يشعرون أن الدولة تسعى لتسهيل وصولهم إلى البيت الحرام لا لتعقيد الأمر عليهم.

أما اليوم، فإن كثيرًا من المسلمين ينظرون إلى واقع الحج بشيء من الحزن والأسى. فمع التقدم التقني الهائل، وتطور وسائل النقل، واتساع إمكانات الدول، كان المتوقع أن يصبح الوصول إلى الحج أكثر سهولة ويسرًا مما كان عليه في دولة الخلافة. غير أن الواقع يكشف صورة أكثر تعقيدًا؛ إذ يواجه ملايين المسلمين قيودًا إدارية ومالية وسياسية تجعل الحج حلمًا عسير المنال.

لقد أصبح الحج في كثير من البلدان مرتبطًا بإجراءات طويلة، وحصص محدودة، وانتظار يمتد سنوات، فضلًا عن التكاليف الباهظة التي ترهق الفقراء وذوي الدخل المحدود. وبعض المسلمين قد يمضي عمره كله مشتاقًا إلى البيت الحرام، ثم تحول بينه وبين ذلك الرسوم المرتفعة أو التعقيدات التنظيمية أو القيود السياسية. بل إن البعض صار يرى أن الحج انتقل من كونه شعيرة مفتوحة للأمة إلى كونه امتيازًا لا يناله إلا من يملك المال الكافي أو النفوذ اللازم.

ولا شك أن إدارة الحج في العصر الحديث تواجه تحديات ضخمة لم تكن موجودة قديمًا، فالأعداد اليوم بالملايين، ومخاطر التدافع والكوارث قائمة، وتأمين الحشود يحتاج إلى إمكانات وتنظيم معقد. ورغم ما قامت به السلطة هناك من تنظيم إداري وتطوير للبنية التحتية، وإنشاء جسور وقطارات ومرافق حديثة قدمت خدمات لأعداد هائلة من الحجاج فإنها غير كافية، وواضح التقصير فيها مقارنة بما لديهم من قدرات. والمشكلة التي يشعر بها كثير من المسلمين لا تتعلق فقط بالتنظيم، بل بالروح التي يُدار بها الحج. فالفارق بين منطق الخلفاء الأوائل ومنطق كثير من الأنظمة القائمة الآن أن الخلفاء كانوا ينطلقون من دافع شرعي بأنهم مسؤولون عن تيسير العبادة للناس، بينما يغلب اليوم الطابع الاستغلالي على التعامل مع الحج. ومن هنا يشعر بعض المسلمين أن الحاج تحول إلى «رقم» داخل منظومة ضخمة، وأن الاعتبارات السياسية والمالية باتت تتقدم على روح الرحمة والتخفيف.

لقد كان الخليفة في التاريخ الإسلامي يخشى أن يُسأل عن تعثر حاج في الطريق، أما اليوم فكثير من الأنظمة تتعامل مع الحجاج بمنطق الإجراءات الصارمة المجردة، دون أن يلمس الناس دائمًا روح الرفق والتيسير التي حض عليها الإسلام. وقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها عن النبي ﷺ وسلم أنه قال: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به) رواه مسلم، وهو حديث يضع قاعدة

عظيمة في الحكم والإدارة، تقوم على أن الأصل في الولاية الرحمة والتخفيف لا التعسير والإرهاق.

ومن المؤلم أن بعض المسلمين باتوا يشعرون أن الوصول إلى البيت الحرام أصبح أصعب عليهم من السفر إلى كثير من بقاع الأرض الأُخَر، رغم أن الحج ركن من أركان الدين، وأن الأصل فيه التيسير لمن استطاع سبيلا. صحيح أن الاستطاعة شرط شرعي، لكن الفرق كبير بين عجز طبيعي سببه الفقر أو المرض، وبين عجز تصنعه الأنظمة المعقدة والرسوم المرهقة والسياسات المقيدة.

كما أن من أخطر ما يهدد روح الحج المعاصرة تغليب الاعتبارات السياسية على وحدة الأمة في هذه الشعيرة. فالحج في أصله شعيرة إيمانية جامعة، يجتمع فيها المسلمون على التوحيد والتجرد لله، بعيدًا من الانقسامات القومية والسياسية، لكن الواقع الحديث كثيرًا ما يجعل الحج متأثرًا بالصراعات الإقليمية والخلافات الدولية، فيتحول بعض الحجاج إلى ضحايا للتوترات السياسية بين الدول

إن استعادة المعنى الإسلامي الحقيقي لمسؤولية الحاكم تجاه الحجيج هو المطلوب، وليس فقط المزيد من الفنادق والجسور والأنظمة الإلكترونية، وإنما استعادة روح «الرعاية» التي سادت في عصور كثيرة من تاريخ دولة الخلافة، حين كان الحاكم يرى نفسه مسؤولًا عن راحة الحاج وكرامته وسلامته قبل أي اعتبار آخر.

إن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى إعادة التوازن بين ضرورات التنظيم الحديث وبين المقصد الشرعي للحج باعتباره عبادة ميسّرة لا امتيازًا نخبويا ومحاصصة قبلية. فالحج ليس مشروعًا اقتصاديًا، ولا مناسبة لإظهار السلطة والسيطرة، بل هو حق شرعي للمسلمين القادرين، فالأصل عودة الحكم إلى أهله من المسلمين، لا أن يبقى بيد من خضع للغرب الكافر جاعلا من هذا الموسم فرصة لممارسة التضييق وخنق المسلمين وإهانتهم باجراءات ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد بقيت الكعبة عبر القرون رمزًا لوحدة المسلمين ومهوى لأفئدتهم، وسيظل المسلمون يحنّون إليها مهما اشتدت القيود والعوائق. لكن التاريخ سيظل يميز بين حاكم رأى نفسه خادمًا لضيوف الرحمن، فسعى لتخفيف المشقة عنهم، وبين من جعل الطريق إلى البيت الحرام مليئًا بالحواجز والتكاليف والتعقيدات. فالسلطة في الإسلام ليست تشريفًا مجردًا، وإنما أمانة ثقيلة، ومن أعظم وجوه هذه الأمانة أن يُعان المسلم على طاعة ربه لا أن يُرهق في سبيل الوصول إليها.

فهذا مثال على سوء رعاية من تسلط على أمور المسلمين جاعلا من سلطته مصدر استغلال وفرصة استهانة بحياة المسلمين وأموالهم. فالأمة اليوم حري بها أن تقف أمام هذا الظلم والتفرق ساعية بجد نحو جمع البلاد في دولة واحدة وتحت راية واحدة وخليفة واحد، كما جمعتهم هذه الشعيرة العظيمة ....

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، واجمع أمتنا تحت خليفة واحد يرعى شؤوننا ويسعى بالخير فيما بيننا... اللهم آمين آمين يارب العالمين والصلاة والسلام على القائد الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.■

من موسم الحج إلى بناء الدولة
التخطيط الاستراتيجي لصناعة الحضارة

المهندس وسام الأطرش

بينما ينشغل الغافلون في مواسم الأعياد والمناسبات الكبرى بالراحة والاحتفال، وتفاصيل الحياة العابرة التي تذوي سريعاً تحت شمس الزمن وتَذْهب أدراج الرياح، نجد أن أصحاب الرسالات العظام، ورجال الدولة الحقيقيين، يعيشون في عالم آخر تماماً. عالمٌ يُحاك فيه المستقبل، وتُنسج فيه خطط البناء الحضاري، وتُقرأ فيه الخرائط الجيوسياسية بعيون لا تغفل، وقلوب لا تعرف الكلل.

فالدعوات الكبرى لا تعرف مواسم الراحة، لأنها تحمل في صميمها هَمَّ أمةٍ ورسالةٍ تمتد عبر الأزمان وتتخطى حدود المكان. ومن هنا كان قول النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها عند فجر الوحي: «**مَضَى عَهْدُ النَّوْمِ يَا خَدِيجَةُ**»، إعلاناً صريحاً أن طريق التغيير لا يهادن، وأن صناعة التاريخ لا تحتمل التراخي، وأن ساعات العمر ثمينة لا تُبذر في الغفلات، حتى في الأوقات التي يغرق فيها الناس في اللهو والانصراف عن القضايا الجوهرية.

الاستراتيجية: من المفهوم إلى التطبيق

وقبل أن نخوض في صلب الموضوع، لا بد من وقفة مع مفهوم «الاستراتيجية» الذي أصبح لفظاً شائعاً في عصرنا، فلعل كثيراً من الناس يستعملونه اليوم على غير وجهه الصحيح. فالاستراتيجية لفظ معرّب، أصله يوناني، واستعماله عسكري، وهو مؤلف من كلمتين: «ستراتوس» بمعنى جيش، و«أجوس» بمعنى قائد، فصار معناه الاصطلاحي: «فن قيادة الجيوش» أو «فن الحرب». ثم تطور المفهوم في العصر الحديث ليشمل التخطيط طويل المدى في ميادين السياسة والاقتصاد والإدارة، وأصبحت الاستراتيجية تُعرف بأنها: «فن تحديد الأهداف الكبرى، وتوزيع الموارد، وتوظيف الوسائل لتحقيقها في مواجهة خصم حقيقي، وسط ظروف متغيرة، وبأفق زمني ممتد».

وإذا تأملنا هذا المفهوم، وجدناه ينطبق على سيرة النبي ﷺ أتم انطباق، بل لقد كان ﷺ يمارس الاستراتيجية بمعناها الكامل قبل أن يضع فلاسفة الحرب والساسة نظرياتهم. لكن الفارق الجوهري أن استراتيجية النبي ﷺ كانت مستمدة من الوحي الإلهي ومنضبطة بأحكام شرعية، بينما كان يجتهد ﷺ في الأمور التكتيكية وفي التفاصيل التي لم يحددها الوحي بما يحقق مصلحة الدعوة ومصلحة المسلمين، فكان حينما يريد اختيار مكان المعسكر أو توزيع الحراس أو طريقة

القتال، كان يشاور أصحابه ويقول: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**»، وفي غزوة بدر قال ﷺ: «**بَلْ هِيَ الْحَرْبُ وَالرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ**»، أي أن الحرب تدور بالرأي السديد، والمشورة الجامعة لأهل الحل والعقد والمكيدة المحكمة التي تخادع العدو.

وهذه القاعدة العظيمة هي التي تفسر لنا كيف كان النبي ﷺ يجمع بين التزامه بالوحي وبين اجتهاده البشري في التفاصيل التنفيذية التي لم يرد فيها نص. فالوحي الذي حدد الوجهة الكبرى: أن الأمة ستُمكّن في الأرض، وأن الدولة ستقام، وأن الدين سيظهر على الدين كله، حدد أيضا الخطوط العريضة أو الطريقة الشرعية لبناء الدولة؛ من مرحلة التثقيف وبناء التكتل الحزبي إلى مرحلة التفاعل مع المجتمع والصراع الفكري والكفاح السياسي وطلب النصرة من أهل القوة والمنعة إلى مرحلة استلام الحكم. أما كيف يتم ذلك؟ وأين يكون اللقاء؟ ومتى تُعقد البيعة؟ وكيف تُدار عمليات التمويه؟ ومن يوكل بكل مهمة؟ وما هي موازين القوى في المنطقة؟ فهذا كله كان من رأي النبي ﷺ ومشورته ومكيدته الحربية والسياسية. وهذا النهج النبوي، ينسف كل النظريات التي تتجرأ على الوحي باعتباره مجرد نص تاريخي أسير زمانه، أو تحاول اعتبار الطريقة الشرعية والاستراتيجية النبوية والسنة الفعلية تكتيكات قابلة للاستبدال بانزلاقات وانحرافات خطيرة خاضعة لواقع الرأسمالية المعاصرة، تحت مسمى فقه الواقع، أو فقه المآلات أو الضرورات التي تبيح لدى أصحابها كل المحظورات!

الحج ساحة استراتيجية لا مجرد موسم تعبدي

لم يكن موسم الحج في البيئة العربية قبل الإسلام مجرد طقوس دينية أو شعائر وثنية جامدة، بل كان حدثاً مركزياً تتدفق فيه الدماء والأموال والعروض والتحالفات، وتتصارع فيه الإرادات والمصالح على مرأى ومسمع من الجميع. كانت القبائل تفِدُ إلى مكة فتلتف حول الكعبة، وتتسابق الوفود في فضاء مفتوح تجاورت فيه العبادة بالسياسة، وتلاقت الرمزية الدينية مع منطق القبلية وسلطان النفوذ. وكانت أيام التشريق - وهي الأيام التي تلي يوم النحر - تمثل ذروة هذا الحراك الإنساني، حيث تمتزج الشعائر بالتفاوض، وتُعقد التحالفات، وتُختبر موازين القوى.

وهذا الفضاء الخصب لم يغفل عنه النبي ﷺ، بل حوله إلى ساحة استراتيجية كبرى لعرض الرسالة، وطلب النصرة، وبناء اللبنات الأولى لدولة لم تولد بعد. والقرآن الكريم يشير إلى طبيعة هذا الموسم ضمن النداء الإبراهيمي وأهميته في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧]، فهذه الآية المكّية تحمل دعوة عامة للناس من كل أرجاء الجزيرة وخارجها، ما جعل مكة في كل عام سوقاً سياسية واقتصادية ودينية كبرى، قبل أن يُفرض النحر في السنة الثانية للهجرة، أو

تُفرض شعيرة الحج على المسلمين في السنة التاسعة للهجرة فتنتقل من «عرف مجتمعي ديني» إلى «نظام تعبدي تشريعي كامل» تضبطه أحكام الإسلام.

من طلب النصرة إلى رفض الحماية الناقصة

لقد أدرك النبي ﷺ منذ البداية أن الرسالة لا يمكن أن تتحول إلى مشروع حضاري ممتد دون حاضنة سياسية تؤويها وشوكة تحميها، فكان ﷺ يخطط لدعوته على عين بصيرة، وينتظر الوحي في كل مرحلة، وهو يدرك تمام الإدراك أنه سيأتي اليوم الذي تُفرضُ فيه الجزية على العجم، ولذلك كان ﷺ واضحا في خطابه لعمه أبي طالب حين قال: «**يَا عَمِّ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**».

وفي السنة العاشرة للبعثة، انطلق النبي ﷺ في مواسم الحج يعرض نفسه على القبائل، ويخاطب القوى السياسية والعسكرية القادرة على حمل المشروع استجابة لأمر الله، حيث جاء في رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أخرجها الحاكم والبيهقي: «**لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ مَعَهُ**».

وكانت الأسئلة الموجهة إلى مختلف القبائل تتمحور أساسا حول نقاط ثلاث: **كَمِ الْعُدَّةُ فِيكُمْ؟ كَيْفَ الْقِتَالُ فِيكُمْ؟ هَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؟** وهي أسئلة استراتيجية دقيقة تبين أنه ﷺ كان يفكر كرجل دولة، لا كداعية يبحث عن أكبر عدد من الأتباع.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل مرّ النبي ﷺ على قبيلة بني عامر بن صعصعة في موسم الحج، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يُقال له بيحرة بن فراس: «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟» فرد عليه النبي ﷺ بكلمة جامعة مانعة: «**الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ، يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». فقال بيحرة: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك. وهكذا ضاعت على بني عامر فرصة النصرة، لأنهم جعلوا للدين ثمناً من حطام الدنيا، وأبى النبي ﷺ أن يبيع المشروع الحضاري بمقابل دنيوي عاجل بل زائل.

وفي قصة بني شيبان عبرة بليغة تصلح منهاجاً لكل صانع دولة: لقد أبدوا استعداداً لحمايته داخل حدود الجزيرة العربية، لكنهم رفضوا الدخول في مواجهة مع الفرس خوفاً من كسرى، وقالوا إنهم قادرون على نصرته في «بحر العرب» لا «بحر فارس». كان ذلك إدراكاً منهم لحساسية التوازنات الإقليمية وحدود قدرتهم العسكرية والسياسية أمام هيمنة الفرس في المنطقة.

لكن النبي ﷺ رغم حاجته الماسة إلى النصرة، لم يقبل بحماية جزئية أو مشروع محدود الأفق، لأنه كان يبني دولة رسالة تتجاوز الحسابات القبلية الضيقة. وهكذا يفعل رجال الدولة الحقيقيون: لا يقبلون بأنصاف الحلول التي تكرس الضعف تحت مسمى الحماية.

وهو ﷺ في الحالتين يُعلّم صنّاع الدولة أن الأهداف الكبرى لا تُباع بثمن بخس، وأن التنازل في الثوابت يُفقد المشروع روحه قبل أن يفقد جسده، لأن الفكرة هي روح التكتل المبدئي الذي صنعه رسول الله ﷺ في مكة

التقييم والتخطيط المرحلي

لم تكن بيعة العقبة الأولى نهاية المهمة، بل بداية التقييم والمتابعة والبناء المنظم ومراكمة النجاحات. فالنبي ﷺ لم يكتف بالحصول على الولاء السياسي الأولي، بل أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى يثرب ليقوم بمهمة التأسيس الفكري والاجتماعي وينسج بنقاشاته وتفاعلاته درسا في «العلوم السياسية». وهذا الصنيع يؤكد أن النبي ﷺ كان يدرك أن الدولة لا تُبنى بالعقود السياسية وحدها، ولا بمجرد الوعظ والإرشاد، بل ببناء الرأي العام، وتشكيل الوعي الجمعي، وخلق نخبة قادرة على حمل المشروع، من خلال تقنية الاتصال الحي والمباشر التي طالما أثبتت جدواها وجدارتها، حيث تمكن من دراسة ردود أفعال المتلقين للدعوة ومن تحيين أساليب النقاش الفكري والسياسي بشكل آني، بحثا عن الحكمة والموعظة الحسنة.

لقد كانت تلك الخطوة أشبه بعملية إعداد عميقة للبيئة الجديدة، لبناء قاعدة شعبية متماسكة قادرة على استقبال المشروع الإسلامي وتحمّل تبعاته. ومصعب بن عمير رضي الله عنه كان الأنسب لهذه المهمة لأنه كان شاباً وسيماً، حسن الصوت، عذب المنطق، يقرأ القرآن في جمال وإتقان، وقد قال عنه أسعد بن زرارة أحد نقباء الأنصار: «والله لقد علمت أن مصعباً هذا ابن عمير ممن عني به رسول الله ﷺ، وما رأيت قوماً قط أشد تعظيماً لمن يقرأ عليهم القرآن منه».

لقد أرسل الرسول ﷺ إلى يثرب رجلاً استثنائياً بجميع المقاييس، اختاره بعلم وفطنة ليكون سفير التمكين: مصعب بن عمير رضي الله عنه، ذلك الفتى الذي كان أنعم قريش نعمة فترك الدنيا طواعية لله، فجعله النبي ﷺ نموذجاً عملياً للتضحية ونموذجا لصناعة القادة، فمكث في المدينة عاماً كاملاً لم يَعُدْ فيه إلى مكة، وفي هذا العام وحده صنع المستحيل: أسلم على يديه سادة القوم كسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ودخلت قبائل كاملة في دين الله أفواجاً حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون يظهرون إسلامهم، وصلى بالمسلمين أول جمعة في التاريخ الإسلامي، فاستحق لقب «المقرئ». ولما عاد إلى النبي ﷺ فرح به ورده ثانية ليتمم البناء، ثم استشهد في أحد فبكاه النبي ﷺ وتلا فيه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ﴾، فكانت تلك شهادة من الصادق على صدق صاحبه، ودليلاً على أن رجال الدولة الحقيقيين هم من يثبتهم العمل قبل القول، ويصدقهم التاريخ قبل الرجال.

ثم تلت ذلك بيعة العقبة الثانية، ثم الهجرة التدريجية للمسلمين، ثم هجرة النبي ﷺ نفسه بعد نحو ثلاثة أشهر فقط. إنها

سرعة منظمة، وإدارة دقيقة للمرحلة الفاصلة بين القرار السياسي والتنفيذ الميداني، وهو ما يعجز عنه كثير من التنظيمات الحديثة التي تظل أسيرة الارتجال وردود الأفعال والدوران في حلقة مفرغة تبقيها في حالة من الغربة من العزلة السياسية.

بيعة العقبة: تخطيط دقيق في قلب الموسم

وفي مشهد يبعث على التأمل العميق، وقعت بيعة العقبة الثانية التي عُرفت ببيعة الحرب في ثاني أيام التشريق، حيث كانت قريش والقبائل منشغلة بمناسكها وأسواحها ولهوها وأضاحيها، بل كان الذبح وأكل اللحم وتجفيفه (ومن هنا اسم «التشريق» أي نشر اللحم في الشمس) معروفا عن العرب منذ الجاهلية. بينما كان النبي ﷺ يدير من وراء الكواليس واحدة من أخطر العمليات التأسيسية في التاريخ، فكانت حلقةٌ متينةٌ في عقدِ مسارٍ سياسيٍّ محكم، تُعاضدُ بيعةَ العقبةِ الأولى وتُشيدُ على أسِّها.

لقد جرى اللقاء ليلاً في مِنى بسرية تامة، وحُدد الزمان والمكان بدقة بالغة، لأن كشفه كان يعني مواجهة مبكرة مع قريش قبل اكتمال شروط القوة. يقول ابن إسحاق في السيرة: «إن النبي ﷺ وعدهم العقبة في أوسط أيام التشريق، فلما فرغ الناس من الحج، وأمسى الليل، خرجوا يتسللون تسللاً مستخفين من بيوتهم حتى اجتمعوا عند العقبة في شعبها، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان». الأكثر من ذلك، ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه، أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة الثانية حول تسللهم إلى الموعد، حين قال: «فنِمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القَطَا مستخفين، رَجُلاً رَجُلاً، أو رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة».

هذا المشهد الذي رسمه كعب بن مالك بكلماته، يظل نافذة نطل منها على عظمة التخطيط وسعة الأمن والثقة بين النبي ﷺ وأصحابه. إنه تجسيد عملي لمفهوم الطاعة وشاهد حي على أن الدولة لم تولد من رحم العبث، بل من رحم الأسباب المحكمة والإخلاص الصادق والسرية التامة، فلم تكن تلك البيعة مجرد لقاء عاطفي عابر أو جلسة روحانية خاطفة، بل كانت تأسيساً لتحالف سياسي عسكري متكامل يقوم على الحماية والنصرة وتحمل تبعات المواجهة المقبلة. وهذا هو الفرق بين الحركات العابرة والدول المؤسسة: الأولى تبحث عن المكسب الآني، بينما الثانية تبني شروط الغلبة التاريخية.

الهجرة: نموذج فريد في الجمع بين التوكل والتخطيط

ثم جاءت الهجرة النبوية التي تمثل - بلا منازع - واحدة من أعظم عمليات التخطيط الاستراتيجي في تاريخ البشرية. فالنبي ﷺ، المؤيد بالوحي والموعود بالنصر، لم ينتظر المعجزة السماوية بمعنى تعطيل السنن، بل

أخذ بالأسباب إلى أبعد الحدود، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٥٩].

ودعونا نستعرض الأدوار المدروسة في هذه الخطة العظيمة، والتي غفل عنها كثيرون

أولاً: اختيار التوقيت بعناية فائقة: فقد اختار النبي ﷺ أن يهاجر في ليلة محددة بعد أن تآمرت قريش على اغتياله، وجعلت كل قبيلة تقدم فتى من أبنائها ليضربوه ضربة رجل واحد، فنزلت سورة يس: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠]. فأخبر الله نبيه بذلك، فخطط للخروج في الليلة نفسها التي أرادوا قتله فيها.

ثانياً: توزيع الأدوار بدقة متناهية، وهنا تتجلى عبقرية النبي ﷺ التنظيمية:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمره النبي ﷺ أن ينام في فراشه ويتشح ببرده الأخضر، ليوهم المتربصين أن النبي ﷺ لا يزال في بيته، وقد قال له: «**نم على فراشي وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فإنه لن يخلص إليك منهم مكروه**». وهذه عملية تمويه استراتيجية من طراز رفيع، حيث ضحى علي بنفسه فداء للرسول ﷺ.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كان رفيق الهجرة، وقد جهز راحلتين وأعد الزاد والماء، واستأجر الدليل.

عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه: كان شاباً لبيباً حاذقاً، أسند إليه النبي ﷺ مهمة التجسس، فيقيم بمكة نهاراً ليسمع ما يتشاور فيه كفار قريش من مكر وتدبير، ثم يأتيهما ليلاً في الغار بخبر ما يستجد.

عامر بن فهيرة رضي الله عنه: كان مولى لأبي بكر، وكان ماهراً في رعي الغنم، فكان يرعى غنماً قريباً من الغار نهاراً، ثم يأتيهما ليلاً بحلوبها ولبنها وزادهما، فنجح في مهمة التموين.

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كانت نسيجة وحدها في الشجاعة والذكاء، وكان دورها إيصال الطعام والزاد إلى الغار دون أن تشعر بهم قريش، وقد قسمت حزام ناقتها نصفين لتربط به الطعام، فسميت «ذات النطاقين».

ثالثاً: الاستعانة بدليل طريق محترف رغم أنه غير مسلم: استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أريقط وكان مشركاً من بني الديل، لكنه كان خريتاً ماهراً في معرفة الطرق، وقال له: «**ارتحل بنا بعد ثلاثٍ، خذ بنا على طريق غير معتادة، موعدنا غار ثور**». وهذه علامة فاصلة: رجل الدولة لا يتردد في الاستعانة بالكفايات في الأمور التقنية بمقابل مادي.

رابعاً: السير عبر طرق غير مألوفة: لم يسلك النبي ﷺ الطريق المباشرة إلى يثرب، بل سلك طريقاً ساحلياً غير مألوف، مروراً بساحل البحر الأحمر، ثم اتجه جنوباً ثم شرقاً، ليتفادى طرق القوافل التي كانت ترصدها

قريش.

خامساً: الإقامة في الغار ثلاثة أيام: ظل النبي ﷺ وصاحبه في غار ثور ثلاثة أيام، وهي عملية «اختفاء تكتيكي» لتضليل المطاردين، حتى يظنوا أنهما سافرا بعيداً، ثم يعودان ليخرجا من طريق آخر. وفي هذه الأثناء كانت قريش تبحث عنهما بضراوة، وجعلت مائة ناقة لمن يأتي بهما. وفي هذا المشهد العظيم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

سادساً: سرية المعلومات: كل هذه التفاصيل كانت بسرية تامة، فما كان يعلمها إلا من وكلهم النبي ﷺ.

إن هذه التفاصيل كلها تؤكد أن الإيمان بالوعد الإلهي لم يكن يوماً دعوة إلى تعطيل السنن، بل إلى الجمع بين التوكل وإحكام الأسباب، وبين الثقة بالله وإتقان العمل. وهذا هو عقل رجل الدولة الذي يبني مشروعه على قواعد صلبة وأسس ثابتة، لا على أمنيات عاطفية. وهي تؤكد كذلك أن الهجرة لم تكن عنكبوتا وحمامة، إنما كانت دولة وإمامة، تم التأسيس لها وفق خطة استراتيجية وضعت في حسابها كل المعطيات والمتغيرات السياسية، وتخيرت من المدينة نقطة لارتكاز الدولة وبناء الحضارة، مع يقين تام بأن النصر بيد الله وحده.

التقويم الهجري: وعي رمزي يتجاوز الحدث المادي

ومما يزيد المشهد تأكيداً على العمق الاستراتيجي أن الهجرة لم تبق مجرد حدث يُؤرخ له بلحظة الوصول إلى المدينة، بل تحولت إلى بداية عصر جديد. فعندما اعتمد التقويم الهجري في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جرى اختيار شهر محرم كبداية للسنة، رغم أن الهجرة الفعلية وقعت في شهر ربيع الأول. وقد روي عن عمر أنه قال: «الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرّخوا بها». وهذا الاختيار يكشف عن وعي إداري ورمزي فائق: بداية المرحلة لم تكن لحظة الوصول، بل المسار الكامل الذي بدأ من موسم الحج حيث تبلورت بيعة العقبة الثانية، وانطلقت بعدها عملية الانتقال نحو الدولة. إنها رؤية استراتيجية تنظر إلى الزمن السياسي ككل متكامل، لا كأحداث منفصلة، وقرار سياسي من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب جعلنا نعتمد على هذا التقويم الهجري لأكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، حتى نستحضر عظمة هذا التاريخ.

التقييم الذاتي في القرآن: سر استمرارية المشروع

ولعل من أروع خصائص هذه التجربة أنها لم تكتفِ بالتخطيط والتنفيذ، بل أقامت نظاماً دقيقاً للتقييم الاستراتيجي الذاتي. فالقرآن الكريم لم يكتفِ بسرد الانتصارات، بل مارس مراجعة وتقويماً مستمرين للأداء السياسي والعسكري والتربوي للمجتمع الناشئ.

يقول الله تعالى بعد غزوة بدر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:

١]، وذلك بعد أن ظهر خلاف بين بعض المسلمين حول الغنائم. هنا جاء الوحي ليعالج خللاً حقيقياً نشأ بعد أول انتصار عسكري كبير، ويعيد توجيه البوصلة نحو وحدة الجماعة والانضباط، وتقديم المقصد الجماعي العام على المكاسب الفردية.

ثم جاءت غزوة أحد لتقدم أوضح نموذج قرآني لتحليل أسباب التعثر السياسي والعسكري. يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. فالآية شخصت بدقة متناهية أسباب الهزيمة: الفشل التنظيمي، والتنازع الداخلي، ومخالفة القيادة، والانشغال بالمكاسب اللحظية. لقد كان ذلك تقييماً استراتيجياً كاملاً بلغة الوحي.

وفي موضع آخر، عاتب الله بعض المؤمنين حين انشغلوا بالتجارة أثناء الخطبة، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، في معالجة مباشرة لخلل ترتيب الأولويات والواجبات داخل المجتمع المسلم.

بل إن القرآن مارس التقويم حتى مع القيادة نفسها، كما في قضية أسرى بدر حين قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وفي سورة عبس حين قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١-٢].

وهذا كله يؤكد أن المشروع الإسلامي لا يقوم على تقديس القرار البشري، بل على المراجعة والتصحيح المستمر. وهذا هو جوهر العقل الاستراتيجي: القدرة على قراءة الأخطاء وتحويلها إلى دروس، لا الهروب منها أو تبريرها. ولذلك كان النبي ﷺ قدوة في الامتثال إلى الحق، يدور معه حيث دار.

من الفكرة الحضارية إلى بناء الدولة

وهنا تتجلى المعادلة الكبرى التي يغفل عنها كثير من الجماعات السياسية المعاصرة: إن الجماعات التي لا تقوم على فكرة حضارية عميقة، ولا تمتلك رؤية استراتيجية واضحة وطريقة مبلورة، تتحول غالباً إلى أجسام هشة كرتونية، أشبه بـ»الفطريات السياسية» التي تنبت فجأة فوق تربة الاضطراب والفراغ، ثم تذبل وتتلاشى مع أول تغير في المناخ السياسي، كما هو حال مئات الأحزاب في العالم العربي خلال القرن الأخير.

أما التنظيمات التي تنطلق من فكرة كبرى ورؤية بعيدة المدى وأصل ثابت هو العقيدة الإسلامية، فإنها تشبه الأشجار الراسخة التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]. قد تنمو ببطء، وقد تموت بعض الخلايا وتتجدد، لكنها تزداد رسوخاً مع الزمن، لأن الفكرة المبدئية ببساطة هي نواتها وسر حياتها.

إن التخطيط الاستراتيجي الحقيقي ليس مجرد وضع أهداف مرحلية أو صياغة برامج

سياسية مؤقتة، بل هو فن تحويل الفكرة الحضارية إلى واقع سياسي قادر على الصمود والاستمرار، عبر حسن توجيه الموارد والقوة والزمن والجغرافيا والمعرفة، مع القدرة على قراءة حركة الخصوم والتحولات المستقبلية.

قراءة خطط الخصوم: شرط البقاء التاريخي

إن من أخطر مظاهر السذاجة السياسية أن تتحرك الأمم والتنظيمات وكأنها تعيش وحدها في العالم، وكأن التاريخ ساحة محايدة لا تتصارع فيها الإرادات والمشاريع الكبرى. فالتخطيط الاستراتيجي الحقيقي لا يقوم فقط على بناء الذات، بل على القدرة على كشف خطط الخصوم وفهم منطقهم العميق في إدارة الصراع.

والقرآن الكريم يوجهنا إلى هذه الحقيقة بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. والقوى الكبرى لا تتحرك بعشوائية، وإنما وفق تصورات جيوسياسية بعيدة المدى، تبنى على دراسة الجغرافيا والممرات البحرية ومصادر الطاقة والثروات والتحولات الديموغرافية.

إن قراءة خطط العدو تعني فهم البنية العميقة لمصالحه: أين يستثمر؟ ما الممرات التي يسعى للسيطرة عليها؟ كيف يعيد تشكيل الرأي العام؟ ما نوع النخب التي يدعمها؟ فأمة تعجز عن قراءة الخرائط الذهنية لخصومها تبقى في موقع رد الفعل، تُفاجأ بالأحداث بعد وقوعها، بينما تكون القوى الأخرى قد هيأت لها شروط التقدم أو التراجع منذ سنوات طويلة، ولذلك فإن من أوجب الواجبات على من يتصدر قيادة الأمة إلى بر الأمان أن يباشر كشف خطط الاستعمار ضمن أعماله السياسية وأن يمتلك أدوات التأثير في السياسة الدولية.

رجل الدولة بين الرؤية والتنفيذ

والتخطيط الاستراتيجي يحتاج إلى عقلية رجل دولة حقيقي، لا مجرد خطيب جماهيري أو إداري ناجح. فرجل الدولة هو من يفهم موازين القوى الدولية، ويقرأ حركة التاريخ، ويدرك حدود القوة وحدود الممكن، ويعرف كيف يحول الفكرة إلى مؤسسة، والمؤسسة إلى نفوذ، والنفوذ إلى واقع دائم.

إن السياسة الدولية لا يحكمها الحماس ولا البلاغة، بل القدرة على تحويل الرؤية إلى أفعال متراكمة ومؤسسات مستقرة وتحالفات فعالة. لهذا فإن التأثير الحقيقي لا يُقاس بكمية الخطب والشعارات، وإنما بالقدرة على تحويل الخطط إلى وقائع ملموسة تصمد أمام الزمن والأزمات، وعلى امتلاك هذه القدرة يجب أن يتدرب رجال الدولة القادمة قريبا بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الخاتمة: دروس للمستقبل

إن التجربة الإسلامية الأولى تقدم للعالم درساً خالداً لا يمحوه الزمن: أن الإيمان بالله والتوكل عليه لا يعني أبداً تعطيل السنن أو

ترك الأسباب. وإن رجال الدولة الحقيقيين هم من يفكرون بعقل استراتيجي طويل النفس، حتى في أيام العيد والمناسبات. هم من يحولون المواسم إلى فرص، والجغرافيا إلى قوة، والزمن إلى إنجاز، والأحداث إلى مشروع حضاري ممتد.

والفارق بين الأمم التي تصنع التاريخ والأمم التي تستهلكه، هو أن الأولى تتحرك وفق رؤية وخطة وإدراك عميق لحركة خصومها وتحولات العالم، بينما تعيش الثانية أسيرة الارتجال وردود الأفعال، فتدخل كل معركة متأخرة، وتخرج من كل أزمة أكثر تيهاً وضعفاً.

وإن من أعظم الفضل على هذه الأمة أن النبي ﷺ لم يفصل بين الدين والسياسة، بل جعل السياسة خادمة للدين، والاستراتيجية حامية للعبادة بل لكل عرى الإسلام. وهنا يُعلّمنا نبينا ﷺ أن نصر الله لا ينزل على من ينتظر، بل على من أحاط بالدين من كل جانب، وأعدّ له كل ما يستطيع من قوة. ولذلك رد النبي ﷺ على وفد بني شيبان أثناء طلب النصرة بقوله: «**إِنَّهُ لَا يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ**».

لقد كان ﷺ يجمع بين «الحرْب والرأي والمكيدة»، كما قال عن نفسه، دون أن يحيد عن الوحي قيد أنملة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. وقد انشغل ﷺ بالدعوة طيلة حياته، وخطط لكل مرحلة فيها، بل لتفاصيل تفاصيلها، وصبر على كل الأذى الذي لحقه جراء القيام بهذا الفرض العظيم، ولم تُفرض الصلاة إلا عاما قبل هجرته ﷺ، ولم يفرض الحج إلا عاما قبل وفاته ﷺ، ولم يحج إلا مرة واحدة في حياته ﷺ، ثم يأتي اليوم في زماننا من يزايد على صاحب الرسالة الخاتمة في دينه، فيترك فريضة الدعوة، وطريقة سيره ﷺ، وينافس الناس على إمامة الصلاة أو لقب «الحاج» دون أن يكون له نصيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاسبة من يقفون حائلا أمام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة من حكام الضرار!

فهل آن لأمتنا اليوم أن تستعيد هذا العقل الاستراتيجي الذي يجمع بين التوكل والتخطيط، وبين الثقة بالله وإحكام الأسباب، وبين قراءة الواقع واستشراف المستقبل، وبين الالتزام بالطريقة والإبداع في الوسائل والأساليب؟ أم نظل أسرى الخطاب الإنشائي والارتجال السياسي أو الوعظ والإرشاد، ننتظر المعجزات ونحن نعطل السنن، ونردد الشعارات ونحن ننسى أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؟!

إن التاريخ لا يرحم الغافلين، والمستقبل لا يُبنى بالأماني، بل بخطط محكمة، وإرادات صلبة، وعزائم من حديد، وعقول تستلهم دروس الماضي لتصنع مجد الحاضر والمستقبل. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.■

الحرب الأمريكية على إيران وأزمة النظام العالمي

أ. بهاء الحسيني

منذ اندلاع الحرب الأمريكية الصهيونية على إيران في شباط/فبراير ٢٠٢٦، والمنطقة تعيش واحدة من أخطر مراحل إعادة تشكيل النظام الدولي والإقليمي. فالمعركة لم تبق مجرد مواجهة عسكرية محدودة بين واشنطن وطهران، بل تحولت إلى صراع يكشف أزمة النظام العالمي الرأسمالي كله، ويُظهر حدود القوة الأمريكية، كما يكشف في الوقت ذاته هشاشة الحكومات الوظيفية التابعة للغرب، وسقوطها المتسارع في أعين شعوب الأمة الإسلامية.

وكذلك جاءت تصريحات ممثل المرشد الإيراني في الحرس الثوري، مجتبى خامنئي، لتكشف عمق الأزمة داخل النظام الإيراني نفسه، حين قال: «ليعلم رافضو المفاوضات ومن يرونها نضالاً أن العدو يريد إشغالنا بقضايا داخلية، واختلاف الآراء موجود دائماً لكن عندما يكون هناك قائد أعلى واحد فالكل يطيعه».

وهذا التصريح لا يمكن فصله عن حالة الضغط الهائل التي تعيشها إيران بعد أشهر من الحرب والعقوبات والحصار ومحاولات الاستنزاف العسكري والاقتصادي من أجل إرضاخها.

لقد دخلت أمريكا الحرب وهي تعتقد أن الضربات العسكرية المركزة، واغتيال القيادات، واستهداف المنشآت الحيوية، وإثارة الرأي العام الداخلي الإيراني، كفيلة بإسقاط النظام أو دفعه للاستسلام الكامل. لكن ما جرى على أرض الواقع كان مختلفاً، إذ التف قطاع واسع من الشعب الإيراني حول دولته في مواجهة العدوان الخارجي، ليس حبا بالنظام وانما لما رآه الشعب المقهور من استهدافه واستهداف البنية التحتية التي تخدم الشعب وليس النظام. فاستهداف المدارس والجسور ليس استهدافاً لنظام، وإنما هو استهداف للشعب نفسه، وهذا يدل على عدو مستعمر حاقد على الأمة الإسلامية، وقد صرح أكثر من سياسي بذلك، ولذلك التف الشعب وأذعن للنظام، بل بدأ بالتصعيد ضد العدو الغاشم فتحوّلت الحرب إلى عبء إستراتيجي على واشنطن نفسها.

فالتقارير الغربية والأمريكية بدأت تتحدث صراحة عن مأزق أمريكي حقيقي. فقد أشارت تحليلات غربية إلى أن إدارة ترامب أصبحت «محاصرة» بخيارات صعبة، بعدما أثبتت إيران امتلاكها أوراق ضغط اقتصادية وعسكرية مؤثرة، وعلى رأسها مضيق هرمز، الذي يُعد أحد أهم شرايين الطاقة العالمية.

كما أكدت تقارير دولية أن واشنطن باتت تبحث عن تسوية تحفظ ماء الوجه بعد أن فشلت في تحقيق حسم عسكري كامل، خاصة مع تصاعد كلفة الحرب اقتصادياً وعسكرياً،

وازدياد المخاوف من اتساع الصراع إلى مواجهة إقليمية شاملة تهدد الاقتصاد العالمي وأسواق الطاقة.

ولهذا اتجهت الإدارة الأمريكية إلى مسار المفاوضات غير المباشرة في الدوحة عبر الوساطة القطرية والباكستانية، وسط حديث متكرر عن «اتفاق إطار» يشمل إعادة فتح الملاحة في مضيق هرمز، والإفراج عن الأموال الإيرانية المجمدة، وتأجيل الملفات الأكثر تعقيداً كالبرنامج النووي إلى مراحل لاحقة.

لكن هذا التوجه الأمريكي نحو التفاوض لا يعكس قوة بقدر ما يعكس حجم الحرج الذي وقعت فيه واشنطن. فترامب نفسه عاد أكثر من مرة ليعترف ضمنياً بصعوبة الموقف، حين قال إن إيران «تراهن على الانتخابات النصفية» وإنه «غير راضٍ عما تعرضه طهران»، ثم عاد ليؤكد أن المفاوضات لم تصل إلى اتفاق نهائي بعد.

وفي الوقت ذاته، استمرت الضربات العسكرية الأمريكية المحدودة في محاولة للضغط على إيران وتحسين شروط التفاوض، حيث أعلنت القيادة المركزية الأمريكية تنفيذ ضربات على مواقع صاروخية وزوارق إيرانية قرب مضيق هرمز، بينما أكدت إيران إسقاط طائرات مسيرة أمريكية واستهداف قواعد انطلقت منها الهجمات.

إن ما يجري اليوم يكشف حقيقة الصراع الدولي المعاصر؛ فالنظام الرأسمالي الغربي بقيادة أمريكا بات غير قادر على فرض هيمنته المطلقة كما كان يفعل بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. فالحروب الطويلة، والأزمات الاقتصادية العالمية، والتنافس مع الصين وروسيا، والانقسام داخل المعسكر الغربي نفسه، كلها عوامل أضعفت القدرة الأمريكية على إدارة العالم بالقوة العسكرية وحدها.

بل إن آثار هذه الحرب لم تقتصر على المنطقة، وإنما امتدت إلى الاقتصاد العالمي بأسره؛ فكل اضطراب في مضيق هرمز ينعكس مباشرة على أسعار النفط والطاقة وسلاسل الإمداد العالمية. وقد حذرت تقارير اقتصادية دولية من أن استمرار الحرب سيؤدي إلى اضطرابات أوسع في إمدادات النفط والتجارة العالمية.

كما أن حالة التوتر الدولي الحالية تأتي في ظل احتدام الصراع الأمريكي مع الصين وروسيا على النفوذ العالمي والتكنولوجيا والطاقة والممرات التجارية، ما يجعل العالم كله يعيش مرحلة انتقالية مضطربة تتآكل فيها هيبة النظام العالمي القديم.

وفي خضم هذه التحولات، تبدو الحكومات في العالم الإسلامي عاجزة ومشلولة، لا تملك قرارها السياسي ولا العسكري، بل أصبحت تدور بالكامل في فلك المشروع الغربي. فهذه الأنظمة لم تُبنَ أصلاً على إرادة الأمة، ولا على مشروع حضاري مستقل، وإنما قامت على أساس الحماية الغربية والتبعية السياسية والاقتصادية والأمنية.

ولذلك فإنها اليوم تقف موقف المتفرج على ما يجري في فلسطين ولبنان وإيران وسائر بلاد المسلمين، بل إن بعضها يشارك بشكل مباشر أو غير مباشر في تثبيت المشروع الغربي عبر التطبيع والتنسيق الأمني والسياسي.

وقد أدركت شعوب الأمة الإسلامية هذه الحقيقة بوضوح؛ فصورة الحكومات الوظيفية تسقط يوماً بعد يوم في أعين الناس، بعدما بات واضحاً أنها لا تمثل الأمة ولا تحمل مشروعاً لتحريرها أو نهضتها، وإنما هي أدوات لضبط الشعوب ومنعها من التحرر من الهيمنة الغربية.

وفي المقابل، فإن الأمة الإسلامية رغم ما تعانيه من ضعف وتمزق، ما زالت تحمل في وجدانها توقاً عميقاً للتحرر والانعتاق من النظام العالمي الظالم الذي فرّق بلادها ونهب ثرواتها واستباح دماءها وجعلها سوقاً مفتوحة للمصالح الاستعمارية.

إن الأمة اليوم تبحث عن مشروع مبدئي حقيقي يعيد لها وحدتها وسيادتها وكرامتها، لا عن حلول ترقيعية داخل النظام الدولي نفسه. فالمشكلة ليست فقط في سياسات أمريكا أو الغرب، وإنما في النظام الرأسمالي الاستعماري القائم على الهيمنة والنهب وإشعال الحروب.

ومن هنا فإن الخلاص الحقيقي لا يكون بالارتماء في أحضان الشرق أو الغرب، ولا بالتفاوض على فتات المصالح، وإنما بإقامة قيادة سياسية مستقلة مخلصة لله ورسوله والمؤمنين، تحمل مشروع الإسلام باعتباره مشروعاً حضارياً عالمياً للبشرية.

إن الأمة الإسلامية تملك من العقيدة والثروات والطاقات البشرية والموقع الجغرافي ما يجعلها قادرة على أن تكون قوة عالمية كبرى إذا تحررت من التبعية وأقامت نظام الإسلام من جديد.

وتاريخ الأمة شاهد على ذلك؛ فبعد سنوات قليلة من وفاة رسول الله ﷺ استطاعت دولة الإسلام أن تُسقط هيبة أعظم إمبراطوريتين في العالم آنذاك؛ فارس والروم، وأن تتحول إلى دولة تقود العالم بالعدل والرحمة وتحمل رسالة الإسلام إلى البشرية.

وإلى هذا المشروع العظيم يدعو حزب التحرير، داعياً الأمة للعمل لإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، باعتبارها الطريق الحقيقي لتحرير بلاد المسلمين من الهيمنة الغربية، وتوحيد الأمة، واستعادة قرارها السياسي والعسكري والاقتصادي، لتعود أمة الإسلام قوة عالمية تُحسب لها الأمم ألف حساب.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**».■

الولايات المتحدة الأمريكية تُيسِّر التعاون بين كيان يهود والدولة الهندوسية لضمان استمرار السيطرة على الأمة الإسلامية(مترجم)

الأستاذ محمد عبد الله - كشمير المحتلة

المصالح الجيوسياسية الأمريكية في المسرح الموحّد

يشكّل الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية معًا المسرح الجيوسياسي الأكثر أهمية على وجه الأرض بالنسبة للإستراتيجية الكبرى الأمريكية. وهذه الأهمية ليست اعتباطية؛ بل تحددها حقائق جغرافية لا يمكن لأي خيار سياسي تغييرها. حيث تحتوي الأراضي ذات الأغلبية المسلمة على نحو ٥٥٪ من احتياطيات النفط المؤكدة عالميًا و٧٠٪ من احتياطيات الغاز الطبيعي، ويقع في المنطقة أربعة من أهم الممرات البحرية العالمية ضمن هذه المناطق أو على مقربة منها؛ مضيق هرمز الذي يمر عبره نحو ٢١٪ من استهلاك النفط العالمي يوميًا، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق ملقا.

وتمتلك باكستان المحاذية للهند وأفغانستان وإيران والصين السلاح النووي، وهي البلد الوحيد من بلدان العالم الاسلامي الذي يمتلكه. هذه الحقائق الجغرافية لا تشكّل بحد ذاتها مصالح أمريكية، لكنها تصوغ كل هدف سياسي أمريكي في المنطقة وتمنحه طابعه الجيوسياسي.

والمصلحة الجيوسياسية العليا للولايات المتحدة هي منع قيام سلطة سياسية إسلامية موحّدة عبر هذه الجغرافيا قادرة على ممارسة نفوذ سيادي على موارد الطاقة والممرات البحرية والقدرة النووية في آنٍ واحد، وهذا هدف سياسي تحدده الجغرافيا تحديدًا مباشرًا، إذ إن تركّز النفط والغاز والممرات والقدرات النووية في فضاء واحد، هو العالم الإسلامي، يمنحه أهمية إستراتيجية، وقيام سلطة سياسية إسلامية جامعة، أي الخلافة، سيمنحها السيطرة على هذه الأصول بحكم الجغرافيا وحدها. وقد كان منع هذه الوحدة هو الأساس المنظِّم للإستراتيجية الغربية منذ إلغاء الخلافة العثمانية في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ (٣ مارس ١٩٢٤)، ولا يزال حتى اليوم الأساس الذي تتفرع منه بقية المصالح

وتتفرع من هذه المصلحة الأساسية عدة أهداف جيوسياسية، كل منها مرتبط بتكوين جغرافي محدد. فالتجزئة السياسية للعرب والمسلمين تمنع أي سلطة واحدة من التحكم في نفط الخليج، وهو هدف يرتبط بتوزع حقول النفط بين السعودية والعراق والكويت والإمارات وإيران، بحيث يصبح انفصالها شرطًا للهيمنة الأمريكية. واحتواء الصين يتطلب حزامًا من الدول الحليفة عبر المحيطين الهندي

والهادئ، وهو ما تحدده جغرافية الهند بحدودها المتنازع عليها مع الصين بطول ٢٠٠٠ كيلومتر وسيطرتها على سواحل المحيط الهندي الشمالية. كما أن الحفاظ على شبكة من الأنظمة التابعة في البلاد الإسلامية يرتبط بكون هذه الأنظمة تقع فوق الموارد والممرات الحيوية. واستنزاف باكستان مرتبط بإحاطتها جغرافيًا: الهند شرقًا، وأفغانستان المتأثرة أمريكيًا غربًا، وإيران الخاضعة للعقوبات جنوب غرب. أما بناء منظومة مراقبة تمتد من غزة إلى كشمير، فيرتبط بتوزع السكان المسلمين عبر هذا المسرح.

ويُعد كيان يهود والهند عنصرين لا غنى عنهما في هذا النظام، ليس بسبب التقارب الأيديولوجي فقط مع واشنطن، بل أيضًا بسبب موقعهما الجغرافي. فكيان يهود يقع عند تقاطع إفريقية وآسيا وأوروبا، ويمنع قيام وحدة عربية بين النيل والفرات. أما الهند فتسيطر على الساحل الشمالي للمحيط الهندي، وتمنع قيام وحدة سياسية إسلامية بين أفغانستان وبنغلادش، وإن موقع هاتين الدولتين على طرفي العالم الإسلامي هو ما يجعل تعاونهما مهما للمصالح الأمريكية.

الأدوات الجيو-اقتصادية: اقتصاد الإخضاع

تُدعَم هذه المصالح الجيوسياسية بأدوات جيو-اقتصادية تجعل السيطرة السياسية مستدامة وممولة ذاتيًا، وتُعد هيمنة الدولار الأداة الأساسية؛ إذ يشكل الدولار نحو ٥٨٪ من احتياطيات البنوك المركزية عالميًا و٨٨٪ من معاملات الصرف.

ويضمن نظام البترودولار إعادة تدوير عائدات النفط الخليجي عبر أدوات مالية أمريكية، ما يمكّن الولايات المتحدة من تمويل ديونها الضخمة واستخدام النظام المالي كسلاح، أما الأداة الثانية فهي نظام الديون عبر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، الذي يحوّل البلاد الإسلامية إلى مدينين دائمين من خلال شروط مثل الخصخصة والتقشف، وتُعد باكستان مثالًا بارزًا على ذلك، وكذلك مصر والأردن وتونس، والأداة الثالثة هي نظام "سويفت"، الذي يمنح واشنطن القدرة على عزل الدول ماليًا، كما حدث مع إيران. كما تُستخدم عائدات النفط المودعة في البنوك الأمريكية وسيلةَ ضغط سياسي، كما في حالة العراق.

وتُعد مبادرات مثل الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا (IMEC) ومبادرة التكنولوجيا (TRUST/iCET) أدوات تجمع بين الجيوسياسة والاقتصاد، إلى جانب صفقات نقل التكنولوجيا العسكرية للهند، التي تهدف إلى تعزيز دورها في احتواء الصين، كما يظهر توجيه سوق السلاح بوضوح، حيث تراجعت حصة روسيا من تسليح الهند

لصالح الغرب، مع استثناء الهند من عقوبات CAATSA رغم شرائها منظومة S-٤٠٠، ما يوضح أن الأدوات الاقتصادية تُكيّف لخدمة الأولويات الجيوسياسية، ويبرز ما يسمى «اقتصاد الإبادة» أداةً جيو-اقتصادية، حيث ترتبط شركات كبرى ومؤسسات مالية بدعم العمليات العسكرية لكيان يهود، ما يربط بين الربح الاقتصادي واستمرار الهيمنة.

آلية التنفيذ المزدوجة

يخدم كيان يهود المصالح الأمريكية من خلال موقعه ودوره العسكري كقاعدة أمريكية متقدمة في قلب العالم الإسلامي، إضافة إلى دوره في مشاريع مثل IMEC، كما يسعى لتحقيق مشروعه التوسعي الخاص. أما الدولة الهندوسية فتخدم المصالح الأمريكية عبر موقعها الجغرافي ودورها في مواجهة الصين ومحاصرة باكستان، مدعومة باتفاقيات دفاعية واستخباراتية، كما تسعى لمشروع «أخند بهارات». ولا يعمل الطرفان بشكل منفصل، بل ينسَّق تعاونهما عبر الولايات المتحدة، من خلال أطر مثل I2U2 والتعاون العسكري والتكنولوجي والاستخباراتي، ما يخلق نظامًا متكاملًا يعزز السيطرة.

الاستجابة السياسية الإسلامية

يرى هذا التحليل أن النظام القائم يعتمد على تجزئة العالم الإسلامي إلى دول ضعيفة. والاستجابة البنيوية في الفكر السياسي الإسلامي هي إعادة إقامة الخلافة، بما هي سلطة جامعة تطبق الإسلام. فالإسلام، بخلاف الرأسمالية، يقدم نظامًا اقتصاديًا مختلفًا، يقوم على توزيع الثروة وضمان الحاجات الأساسية، وتحريم الربا، وجعل الموارد الطبيعية ملكية عامة للأمة. كما سيؤدي ذلك إلى إنهاء هيمنة الدولار والنظام المالي العالمي الحالي، وسيؤدي قيام الخلافة إلى تفكيك البنية الجيوسياسية والاقتصادية الحالية، وإنهاء التعاون العسكري بين الهند وكيان يهود، ودعم قضايا المسلمين بشكل موحد، كما يشترط ذلك إزالة الأنظمة التابعة في العالم الإسلامي، واتباع منهج التغيير الذي يقوم على العمل الفكري والسياسي وطلب النصرة لمشروع الدولة الإسلامية.

الخلاصة

حددت الولايات المتحدة مصالحها الجيوسياسية، واستخدمت أدوات اقتصادية وعسكرية لتحقيقها، واعتمدت على كيان يهود والدولة الهندوسية أداتين للتنفيذ. ويقوم هذا النظام على تجزئة العالم الإسلامي. وترى هذه الأطروحة أن إعادة الخلافة تمثل الاستجابة البنيوية الوحيدة القادرة على تفكيك هذا النظام، وأن حزب التحرير هو الجهة الحاملة لهذا المشروع.■

اشتغال المسلمين بقضاياهم تكليف وتشريف

عائشة الزعتري - فلسطين

يتميز تاريخ المسلمين بالمواقف العظيمة المشرفة لرجال الأمة، هذه المواقف التي اتخذها هؤلاء للذود عن الأمة والدين، وأصبحوا بها نجوماً في تاريخ أمتهم ومضرباً للمثل في الفخر والاعتزاز، ففي كل قضية ألمّت بالأمة وعلى مدار عصورها المختلفة تميزت الأمة بجاهزية ثلة من أبنائها للقيام بتبني قضاياها هذه، والتصدي لها، واتخاذ ما يتوجب من إجراءات لحلها ومعالجتها، وتقديم التضحيات العظيمة والجهود اللازمة في سبيل حل هذه القضايا، ورفع ضررها عن الأمة، وفعل ما يتوجب على الأمة فعله لنيل رضا الله سبحانه وتعالى.

فمثلاً بعد مرور عقود على وفاة رسول الله ﷺ، وكان قد نهى عليه السلام عن تدوين سنته الشريفة في حياته حتى لا تختلط بالقرآن الكريم، وكانت قد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في العصر الأموي وكثر دخول الأعاجم في الإسلام، ظهرت الحاجة لتدوين السنة النبوية الشريفة لحفظها، خاصة بعد ظهور الوضّاعين للحديث، فاتخذ خليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه موقفاً جادّاً أن أرسل يطلب من الإمام ابن شهاب الزهري وآخرين معه جمع الأحاديث وتدوينها، فبدأ علماء المسلمين رحلة جمع الأحاديث وتدوينها ابتداء من أوائل القرن الثاني الهجري، واستمرت جهود آلاف مؤلفة منهم على مدار ما يقارب أربعة قرون من الجمع والتدوين، ثم الانشغال بالمصنفات والمسانيد وغيرها من تفريعات علم الحديث.

وكذلك عندما اتسعت الفتوحات وكثر دخول الأعاجم في الإسلام ظهرت قضية خشية فساد اللسان العربي، لضرورة استقامته لقراءة القرآن والسنة وفهمهما، فقامت ثلة من العلماء قعّدوا للّغة علومها التي عرفت بها فيما بعد، من نحو وصرف وبيان وبديع وغيرها، ويروى أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من اشتغل بهذا الأمر بطلبٍ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وعندما ازدهر الفقه الإسلامي، وبدأت تتكون مذاهب فقهية في البلاد الإسلامية، ظهرت قضية الجدل بين أصحاب المذاهب والفقهاء في مسائل عدة تتعلق بالفقه والأدلة، فقام الإمام الشافعي رحمه الله وبدأ بوضع قواعد أسست لعلم أصول الفقه، الذي ضبط القواعد والأسس للمجتهدين، وجاء بعد ذلك علماء آخرون أكملوا تقعيد هذا العلم العظيم الأهمية.

وعندما تعرضت دولة الخلافة في محطات

تاريخية عدة للغزو الخارجي، وانهزمت أمام هذا الغزو في معارك، وتعرضت أجزاء من بلاد الإسلام لسيطرته، وعلى الرغم من أن هذه القضايا طال أمدها وليلها القاتم على الأمة الإسلامية، كان الانشغال بحل هذه القضايا قائماً في أرجاء الدولة، ولم تهدأ الأمة يوماً عن التجهيز للخلاص من براثن هذا الغزو، وبقي الرجال المخلصون يعملون ويصلون الليل بالنهار، وبقيت تتسلم رايةَ العمل والإنجاز ثلةٌ عن ثلة، حتى سطّر التاريخ الواقعات العظيمة كحطين وعين جالوت وغيرها، وهذا الانشغال بمثل هذه القضايا كان يجمع الحكام والعلماء والمجاهدين، كلٌ على ثغره حتى لا يؤتى الإسلام من قبله، حتى أنجز الله وعده لعباده المخلصين، فكان النصر والتحرير.

وبشكل عام عند النظر في تاريخ الإسلام الممتد عبر قرون طويلة، نجد لكل قضية واجهت هذا الدين وأمته، سواء في وجود دولة الإسلام أو قبل قيامها في العهد المكي للدعوة أو بعد سقوطها سنة ١٣٤٢ للهجرة، نجد أن كل قضية ألمّت بالأمة الإسلامية كان لها رجال أبطال يتصدون لها، ويجتهدون في الاشتغال بها حتى تنقضي، والمواقف العظيمة تلمع في التاريخ وفي الحاضر وتؤكد هذا الأمر.

ففي مكة مثلاً عندما شنت قريش حملة اضطهاد على من أسلم من أبنائها، وأخذت تنكل بهم وتعذبهم أشد أنواع التعذيب، وُجدت المواقف العظيمة من صبر الصحابة وثباتهم، كآل ياسر وبلال بن رباح وخباب بن الأرت وغيرهم الكثير، وكان موقف أبي بكر الصديق في تحرير رقاب من كان رِقاً من الصحابة الكرام، رضي الله عنهم جميعاً.

وعلى سبيل المثال أيضاً، بعد هدم الخلافة، وعلى الرغم من انحطاط الأمة الإسلامية ووقوعها تحت الاستعمار، قام من أبنائها من يسعون لما كلفوا به من إعادة نهضتها، وإعادة عزها ومجدها، بإقامة دين الله في الأرض، ومواقف أبطال الأمة وهم في طريق النهضة هذا كثيرة وعظيمة، وستستمر بمشيئة الله حتى يأذن سبحانه وتعالى بنصرٍ عزيزٍ لدينه ولأمة نبيه ﷺ.

كما أن النظر في قضايا المسلمين على مر تاريخ الإسلام يبين الطاقات العظيمة والقدرات الكبيرة عند مجموع الأمة الإسلامية التي تجعل جاهزيتها واستعداداتها من كل الجوانب متوفرة، وهذه الجاهزية تعزى إلى عدة أمور:

أولها توفيق الله سبحانه وتعالى وتأييده لعباده، وتهيئته سبحانه للأسباب التي تلزم لتحقيق الغاية المرجوة، فالمسلم يتخذ موقفاً تجاه قضايا أمته استجابة لله وطمعاً في رضوانه، فإذا توكل على الله في عمله هذا وجعله خالصاً لوجه الله جعل الله له من لدنه سلطاناً نصيراً، وهيأ له الأسباب، فاتخاذ المسلم موقفاً تجاه قضية ما، وعزمه على القيام للاشتغال بها، وبذله الجهد في الاستعداد والتجهيز، وصبره على المعيقات التي تواجهه، كلها جهود يكلف

المسلم ببذلها، ولكنه بمعية الله في أول أمره وفي منتهاه، وهو الذي يدبر له الأمر ويجري له الخير كيفما شاء سبحانه، وعند العودة إلى التاريخ وما يرويه من مواقف وبطولات لأبناء الإسلام نرى تجسد هذا الأمر في أصحاب المواقف والإنجازات.

كما أنه سبحانه وتعالى يجري الأقدار لرفعة هذا الدين وأهله، فلا تقع قضية أو حادثة على الأمة إلا أجرى لها أهلاً يقومون لها، وهيأ لهم أسباب تحقيق النتائج، وقدّر لهم من الاستعدادات ما يلزمهم، وهذا من لطف الله بعباده، ولو أن المرء نظر إلى كل ثلة قامت لحل قضية ما، رأى قدراً عظيماً من الصفات اللازمِ توفرُها عند الشخص لينجز ما قام لأجله، كقوة الحفظ المميزة عند رواة الحديث من الصحابة والمحدثين، والقدرة العالية للتخطيط والتدبير عند القادة العسكريين، وهذا كله من تهيئة الله الأسباب لعباده.

ثم إن رعاية الدولة الإسلامية وعنايتها بما يلمّ بالدولة والأمة من قضايا، ومبادرتها باتخاذ الإجراءات والقرارات اللازمة، فهذا من لبّ عملها، وهي مكلفة به، والخلفاء كانوا ينظرون إلى دينهم ودولتهم وأمتهم نظرة الرعاية وما تتضمنه من محافظة على قوام كلٍ منها. لذلك كان الكثير من المواقف العظيمة بطلب وتوجيه من الخليفة، بل في كثير من الحالات كان الخليفة وسائر الحكام في الدولة هم أصحاب هذه المواقف، وهل هناك أعظم من المواقف الشرعية السياسية التي تتخذ لنصرة الدين وتبليغه، وكف اعتداء الكافرين والذود عن ديار المسلمين، وحفظ الدين والنفس والأمن للناس، والتي لا تتحقق إلا بالدولة.

وكانت الدولة أيضاً ترعى الاستعدادات لدى المسلمين، وتتخذ التدابير اللازمة لإعداد جنود في كل الميادين، فزخر العالم الإسلامي في رحابها بالسياسيين، ورجال الدولة، والقادة العسكريين، والعلماء في كل المعارف، وكانت ترعى كذلك تطور الأساليب وتَقدّمَها، فكانت رائدة في كل ميدان، وكانت متفوقة على غيرها من الدول بل كانت منارة العالم في كل أمر.

وأما بالنسبة لأفراد المسلمين: فما الذي يدفعهم إلى اتخاذ المواقف تجاه قضايا أمتهم ودينهم؟

إن موقف المسلم من قضايا أمته تكليف شرعي، وليس متروكاً لأهوائه ونزواته واختياراته، إن شاء اهتم لشؤون أمته واشتغل بقضاياها، وإن شاء ترك ذلك وغفل عنه، بل كلف الشرع الحنيف المسلمين بالاشتغال بقضايا أمتهم ودينهم، باتخاذ المواقف التي ترضي الله رب العالمين، وهذا الأصل في المسلم، والذي يجب أن يكون عليه حاله، وهذا الذي يربيه الإسلام فيه. وهذا الاشتغال بقضايا الأمة والدين يتحقق بتفاوت بين المسلمين كلٌ على قدر استطاعته، كما أنه يتحقق من خلال الأفراد والجماعات والدولة.

والإسلام يجعل اشتغال الأمّة بالأحداث

والقضايا سمة عامة للمجتمع الإسلامي، وذلك من خلال عدة أحكام وأفكار ومفاهيم، من أهمها:

أولاً: يبدأ الإسلام بغرس الاهتمام عند المسلم تجاه إخوانه المسلمين في محيطه ومجتمعه، ويرسخ عنده تحمل المسؤولية عن الغير، فالإسلام يجعل المسلم عضوًا في أمة، ويجعل بينه وبين أبناء أمته رابطة العقيدة الإسلامية، ويجعل انتماءه الذي هو حاجة فطرية عنده لدينه ولأمته، ويحث في كثير من النصوص الشرعية على التلاحم والتعاضد بين المسلمين والنظر والالتفات إلى شؤون الغير، وتحمل مسؤولية قضاء حوائج المحتاجين منهم، ما يُلزم المسلمَ الاشتغالَ بقضايا الناس على المستوى الفردي.

والأمثلة من الكتاب والسنة التي تحث على التوادّ والتراحم بين المسلمين كثيرة، والذي يتحقق بمدّ جسور التواصل وبناء العلاقات الطيبة بينهم، والنتيجة المتحققة في المجتمع جراء تطبيق هذه الأحكام، أن تسود أجواء الأخوة والترابط والتعاضد بين المسلمين، ومن هذه الأدلة:

أخرج مسلم والبخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ، مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى**».

وروى الترمذي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وَكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانًا، ولاَ يحلُّ لمسلمٍ أن يَهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ**» .

وأخرج أبو يعلى، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس بمؤمنٍ من بات شبعان وجارُه إلى جنبِه جائعٌ وهو يعلمُ**».

وهذه التكاليف وغيرها يكلف بها الفرد المسلم تجاه أخيه المسلم، وقد تكلف بها الأمة تجاه فرد واحد أو فئة من الناس، كفك العاني أي الأسير مثلاً، روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**فُكُّوا العانِيَ، يَعني: الأسيرَ، وأطعِموا الجائِعَ، وعُودوا المَريضَ**».

إذن على المسلمين الاهتمام بشؤون بعضهم بعضاً، والانشغال بقضاء حوائجهم، وذلك من باب الإحسان، يقول تعالى في سورة البقرة: { وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }. وهذا تأكيد على مفهوم أن المسلم ينتمي إلى أمة، ويجب عليه الاهتمام والاشتغال بشؤون أبناء أمته وشؤون إخوانه المسلمين وأحوالهم في محيطه، وهذا على الأغلب يعلّمه الاشتغال بالقضايا الأكبر للمسلمين، والتي يكلف شرعاً أيضاً بالاشتغال بها، فيجعله يعتاد على ذلك، ويزرع فيه الشعور بالمسؤولية تجاه أمته، فإذا كان دينه يطلب منه الاهتمام بجارٍ أو قريبٍ صاحب حاجة، فكيف به وهو يرى ملايين المسلمين في بلادهم الواسعة مجوعين ونازحين لا مأوى

لهم، وضحايا لحروب يشنها الكافر المستعمر في بلادهم ليسلب قرارهم وثرواتهم فيعانون القتل والدمار والفقر والمرض لسنين طويلة ولا مغيث لهم؟! وكيف به وهو يرى المسلمين يؤسرون ويعتقلون ويعذبون في سجون الظالمين ولا مغيث لهم؟! وكيف به وهو يرى إخوته في الدين تفرقهم حدود مصطنعة وتضعهم في كيانات متنازعة؟! إن مفاهيم التكافل والتعاضد التي تزرعها الشريعة في المسلم مع إخوانه المسلمين في محيطه ومجتمعه تفرض عليه النظر إلى قضاياهم في كل بلاد الإسلام، فلا يستوي أن يفرض الإسلام على المسلم الاشتغال بجوع جاره وهو شبعان ولا يبالي باشتغاله مثلاً بقضايا التهجير والنزوح والتجويع التي أصبحت ظاهرة في بلاد المسلمين يعاني منها الملايين من أبناء دينه، وإن كان ما يتوجب عليه من واجب شرعي تجاه الحالتين مختلف.

ثانياً: فرض الإسلام على المسلمين حمل الدعوة، وحمل الدعوة عمل سياسي، ومحوره الأساسي هو الاشتغال بالسياسة، أي رعاية شؤون الناس، فالإسلام بجوهره دين سياسي: يقيمه المسلمون في الأرض بإقامة دولة تطبق شرعه وتحمله إلى العالمين بالجهاد لإزالة الحواجز المادية التي تعيق تبليغه إلى الناس، وكل هذه المحطات الدعوية تحتاج وتتطلب الاشتغال بالأحداث والقضايا السياسية، ليس فقط بأحوال العالم الإسلامي وأحداثه، بل العالم أجمع لتعلقها بها، فحمل الدعوة عمل سياسي، والسياسة من أهم متطلباتها الاشتغال بالأحداث والقضايا، وهذا يفرض على مجموع الأمة الإسلامية أن تكون قضاياها محط نظر واشتغال عندها.

ثالثاً: إن التكاليف الشرعية التي تطبقها الدولة الإسلامية هي بالأساس تكاليف للأمة، فالأمة هي المكلفة بتطبيق شرع الله وبالجهاد، وهي تنيب عنها خليفة ينفذ الأحكام عنها، وهي مكلفة بالحفاظ على الدولة، لذلك لا يجوز أن تغفل عن الأحداث والقضايا والمجريات داخل الدولة الإسلامية وخارجها، بل يجب أن يشتغل مجموع الأمة بالسياسة، للقيام بما كلفوا به من فروض عين وكفاية، للحفاظ على دينهم وأمتهم ودولتهم، ولإسقاط ما فرض عليهم من تكاليف، ولنيل رضا رب العالمين.

رابعاً: يرفض الإسلام الفردانية التي هي من أسس الفكر الرأسمالي، والتي تجعل الإنسان فرداً يعيش لذاته منشغلاً بنفسه وبحياته، ولا يقيم وزناً لغيره من الناس أو لمجتمعه ولدولته، بل القيمة العليا تكون للفرد وهو مقدم على الجماعة والدولة، فالفردية تربي صاحبها على الأنانية وعدم تحمل المسؤولية، ولا مكان لهذا الفكر في الإسلام، بل يتناقض معه تناقضاً عظيماً، فالإسلام يركز تركيزا كبيرا جداً على أهمية الدولة والمجتمع، ويعطيهما أولوية في حياة الناس، ويهتم لما يجب أن يكون عليه المجتمع من انضباط بالمفاهيم الإسلامية، ويهتم لحق الحياة العامة ولحق جماعة المسلمين، فيفرض

على الفرد العيش في جماعة يهتم بأمرها ويلتزم تكاليف تجاهها، ولا يعيش لذاته ولمصالحه فقط.

خامساً: هناك أحكام شرعية تكلف المسلمين بالاشتغال بقضايا الأمة بشكل مباشر، كالمحافظة على العقيدة والدين، وكإقامة الخلافة، وتنصيب خليفة للمسلمين، ومحاسبة الحكام، وتحرير بلاد المسلمين من كافة أشكال الاستعمار، وكفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تجعل المسلمين يشتغلون بشؤون العامة لأنهم مكلفون بإزالة المنكر منها حسب الاستطاعة، وغيرها الكثير من الأحكام التي تبين وجوب اشتغال المسلمين بقضايا أمتهم، والتي يترتب عليها أجر وثواب أو إثم وعقاب.

هذه بعض الأفكار التي جاء بها الإسلام ليرسخ في المسلم الاهتمام والاشتغال بشؤون الأمّة وقضاياها.

إذن الإسلام يكلف الأمة بالاشتغال بقضاياها وبما يتعلق بها، وذلك من أجل معالجتها، فالأصل في التشريعات الإسلامية معالجة القضايا وحل المشكلات، ولا يُقبل من الأمة أن تترك قضاياها دون علاج. كما أن النظر إلى هذه القضايا يجب أن يكون من زاوية العقيدة الإسلامية، والاهتمام بها بداية لأنها قضية تتعلق بالأمة الإسلامية، ووجهة نظره إلى القضية تكون حسب مقاييس الشرع، أما ما تعلق بها من أمور فكرية مباحة فيجتهد أن يأخذ الرأي الصواب فيها، ثم ينظر إلى الحل من منطلق الأحكام الشرعية.

ثم إنّ الأصل أن المسلم حين ينظر إلى قضايا أمته السياسية، ويتخذ موقفاً تجاهها، يكون للتأثير والتغيير، فإذا تبنى وجهة نظر أو رأيا تجاه قضية أو حدث أو مسألة ما، عليه أن يظهره للناس أو لأوساطٍ معينة يهمه أمرها، فيظهر تأييده أو رفضه، وذلك من أجل التأثير في الناس وفي الحدث نفسه، هذا الأصل على الرغم مما فيه من مشقة، ومنهج الإسلام في التأثير والتغيير يكون عادة من خلال جماعة. فمثلاً كلفت الشريعة المسلمين بإقامة الأحزاب لإقامة الدين ولمحاسبة الحكام، فالمُشاهد أن تأثير عمل الفرد من خلال فريق أقوى وأعظم تأثيراً من عمله الفردي، بل يعجز الفرد أحياناً عن التأثير.

والمسلمون اليوم ومنذ هدم دولتهم وهم يتعرضون لأحداث عظيمة، وقضاياهم كثيرة ومتجددة، وعلى الرغم من ذلك فإن جمهوراً كبيراً منهم ينأى بنفسه عن هذه القضايا، فلا يشتغل بها، ولا يتخذ موقفاً تجاهها، بل يقتصر على انشغاله بنفسه وشؤونه. وهناك من المسلمين طائفة تشتغل بالقضايا وتتخذ مواقف تجاهها وتعمل على التأثير في الناس بها، ولكن مواقفهم تغضب الله، فينحازون إلى الباطل ويؤيدونه، ويضللون المسلمين بأن مواقفهم وحلولهم هي رأي الشرع وهم كذابون مضللون.

وهناك من يرى أن اعتزال قضايا الأمة في زماننا وعدم الخوض فيها هو أمر مشروع وأنه

عين الصواب لما في هذا الزمان من فتن، ومنهم من يستدل بأحاديث تكلمت عن العزلة، مثل ما رواه البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**كانَ النَّاسُ يَسألونَ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وكُنتُ أسألُه عَنِ الشَّرِّ مَخافةَ أن يُدرِكَني، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جاهِليَّةٍ وشَرٍّ، فجاءَنا اللهُ بهذا الخَيرِ، فهل بَعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال: نَعَم، فقُلتُ: هل بَعدَ ذلك الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟ قال: نَعَم، وفيه دَخَنٌ، قُلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: قَومٌ يَستَنُّونَ بغيرِ سُنَّتي، ويَهدونَ بغيرِ هَدْيي، تَعرِفُ منهم وتُنكِرُ، فقُلتُ: هل بَعدَ ذلك الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قال: نَعَم، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ مَن أجابَهم إليها قَذَفوه فيها، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، صِفهُم لَنا، قال: نَعَم، قَومٌ مِن جِلدَتِنا، ويَتَكَلَّمونَ بألسِنَتِنا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فما تَرى إن أدرَكَني ذلك؟ قال: تَلزَمُ جَماعةَ المُسلِمينَ وإمامَهم، فقُلتُ: فإن لم تَكُنْ لهم جَماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: فاعتَزِلْ تلك الفِرَقَ كُلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شَجَرةٍ حتَّى يُدرِكَكَ المَوتُ وأنتَ على ذلك**».

والحديث في مدلوله يدعو إلى اعتزال الدعاة الضالين الذين وصفهم رسول الله ﷺ أنهم دعاة على أبواب جهنم، كما يدعو إلى اعتزال الفتنة بمعنى عدم الوقوع فيها، ولا يدعو إلى اعتزال المسلمين وقضاياهم، فمَن للمسلمين وللدين إن اعتزل الصالحون وأهل العلم الساحات! بل الشريعة تدعو المسلمين إلى الاشتغال بقضاياهم، وخاصة أهل العلم منهم.

والبعض يرى أن السياسة لوثة وأن الاشتغال بها فساد في الأمر وأن المسلم في غنىً عنها، وإن كان اشتداد الأحداث والنكبات على المسلمين اضطرهم إلى الاهتمام والالتفات إلى الأحداث والقضايا والانشغال بها إلى حدٍ كبير قياساً بفترات سابقة مرت على الأمة.

وإن الأمة الإسلامية اليوم تتعرض لقضايا كثيرة وشديدة البأس، وأُمّ هذه القضايا إقامة دينها في الأرض بإقامة الخلافة، وإن الجهود التي تحتاج الأمة أن تبذل اليوم هي التوجه إلى جيوش الأمة لطلب نصرة الإسلام والمسلمين، ولإسقاط عروش الظلمة الطغاة من بلاد الإسلام، أما ما يبذل من جهود فردية من قبل علماء الأمة ومفكريها في ميادين العلم والسياسة بعيداً من هذا التوجه، فهو وإن كان خيراً له أثر في الأمة، ولكنه ليس الأثر المرجو، فلو اجتمع في عصرنا كبار الأئمة والعلماء من تاريخنا، كالشافعي وابن حنبل وابن تيمية وغيرهم واشتغلوا بالعلم وجمعه وتدريسه في الحلقات وتركوا مخاطبة الجيوش لما انتفعت الأمة منهم النفع الذي تحتاجه، إن الاشتغال بإقامة الدين في الأرض تكليف شرعي عظيم، وما ذلّ المسلمون واستكانوا في الأرض إلّا بتركه والإعراض عنه، فعلى المسلمين أن يُقبلوا عليه لتحل قضاياهم جميعاً تترى، ولينالوا رضا ربهم وجناته، ولينالوا شرف الدنيا والآخرة.■

حين تتكرر فرعونية الطغيان، بين غفلة الأمة وواجب التغيير

أ.عبد السلام البدري

لم تكن قصة فرعون حدثًا تاريخيًا معزولًا انتهى بغرق طاغية في البحر، وإنما جعلها الله آيةً متجددة تتكرر صورها في حياة البشر كلما ضعفت معاني الحق، وسكت الناس عن الظلم، ورضيت الأمة بالخضوع للطغاة والمستكبرين. فالقرآن لا يروي القصص للتسلية، بل ليكشف سنن الصراع بين الحق والباطل، وليبين للناس كيف ينشأ الطغيان، وكيف تسقط الأمم حين تفقد ميزان الحق والعدل.

إن فرعون لم يكن مجرد رجل متكبر ادعى الألوهية، بل كان نموذجًا لنظام سياسي وفكري يقوم على السيطرة على العقول، وتزييف الحقائق، وإخضاع الناس بالخوف والدعاية والقوة. ولذلك قال لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وهكذا يفعل كل طاغية؛ يتصرف وكأنه يحتكر الحقيقة، فيجعل رأيه قانونًا، ويصور نفسه مصلحًا ومنقذًا، بينما الحقيقة أنه يبني سلطانه على الظلم والاستعباد ونهب مقدرات الشعوب.

ولم يكن جرم موسى عليه السلام عند فرعون أنه أفسد في الأرض، بل لأنه جاء يوقظ الناس من الخضوع، ويهدم شرعية الباطل، ويعيد ميزان العبودية لله وحده. ولهذا قال فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

فالمستبدون عبر التاريخ يتهمون دعاة الإصلاح بأنهم أهل فتنة وفوضى، لأنهم يخشون من وعي الأمة أكثر من خشيتهم من السلاح.

إن أخطر مراحل الانحدار ليست وجود الظالم فقط، بل أن تصبح فرعونيته أمرًا مألوفًا، وأن تتكيف الشعوب مع القهر حتى ترى الاستعباد استقرارًا، والباطل سياسة واقعية، والخنوع حكمةً وعقلانية. وعندما تختل الموازين إلى هذا الحد، يصبح الإعلام بوقًا للطغيان، ويكثر المبررون والمطبلون، ويُحارب أهل الحق لأنهم يفضحون الانحراف ويكشفون زيف الشعارات.

ولهذا ربط القرآن بين فساد الواقع وابتعاد الناس عن شرع الله، فقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤].

فالمعيشة الضنك ليست ضيق المال فقط، بل هي حالة الشقاء العام التي تعيشها البشرية حين تُحكم بالأهواء البشرية والقوانين الوضعية، فتنتشر الأزمات الاقتصادية، والاضطرابات النفسية، وانهيار الأسرة، والظلم السياسي، والحروب، وفقدان الطمأنينة رغم التقدم المادي الهائل.

بينما أراد الله للإنسان أن يعيش في ظل العدل، ولذلك جعل الحكم بما أنزل الله أساس صلاح الأرض واستقامة الحياة. قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦].

وهناك من يرى أن اعتزال قضايا الأمة في زماننا وعدم الخوض فيها هو أمر مشروع وأنه عين الصواب لما في هذا الزمان من فتن، ومنهم من يستدل بأحاديث تكلمت عن العزلة، مثل ما رواه البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**كانَ النَّاسُ يَسألونَ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وكُنتُ أسألُه عَنِ الشَّرِّ مَخافةَ أن يُدرِكَني، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا في جاهِليَّةٍ وشَرٍّ، فجاءَنا اللهُ بهذا الخَيرِ، فهل بَعدَ هذا الخَيرِ شَرٌّ؟ قال: نَعَم، فقُلتُ: هل بَعدَ ذلك الشَّرِّ مِن خَيرٍ؟ قال: نَعَم، وفيه دَخَنٌ، قُلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: قَومٌ يَستَنُّونَ بغيرِ سُنَّتي، ويَهدونَ بغيرِ هَدْيي، تَعرِفُ منهم وتُنكِرُ، فقُلتُ: هل بَعدَ ذلك الخَيرِ مِن شَرٍّ؟ قال: نَعَم، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ مَن أجابَهم إليها قَذَفوه فيها، فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، صِفهُم لَنا، قال: نَعَم، قَومٌ مِن جِلدَتِنا، ويَتَكَلَّمونَ بألسِنَتِنا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فما تَرى إن أدرَكَني ذلك؟ قال: تَلزَمُ جَماعةَ المُسلِمينَ وإمامَهم، فقُلتُ: فإن لم تَكُنْ لهم جَماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: فاعتَزِلْ تلك الفِرَقَ كُلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شَجَرةٍ حتَّى يُدرِكَكَ المَوتُ وأنتَ على ذلك**».

والحديث في مدلوله يدعو إلى اعتزال الدعاة الضالين الذين وصفهم رسول الله ﷺ أنهم دعاة على أبواب جهنم، كما يدعو إلى اعتزال الفتنة بمعنى عدم الوقوع فيها، ولا يدعو إلى اعتزال المسلمين وقضاياهم، فمَن للمسلمين وللدين إن اعتزل الصالحون وأهل العلم الساحات! بل الشريعة تدعو المسلمين إلى الاشتغال بقضاياهم، وخاصة أهل العلم منهم.

والبعض يرى أن السياسة لوثة وأن الاشتغال بها فساد في الأمر وأن المسلم في غنىً عنها، وإن كان اشتداد الأحداث والنكبات على المسلمين اضطرهم إلى الاهتمام والالتفات إلى الأحداث والقضايا والانشغال بها إلى حدٍ كبير قياساً بفترات سابقة مرت على الأمة.

وإن الأمة الإسلامية اليوم تتعرض لقضايا كثيرة وشديدة البأس، وأُمّ هذه القضايا إقامة دينها في الأرض بإقامة الخلافة، وإن الجهود التي تحتاج الأمة أن تبذل اليوم هي التوجه إلى جيوش الأمة لطلب نصرة الإسلام والمسلمين، ولإسقاط عروش الظلمة الطغاة من بلاد الإسلام، أما ما يبذل من جهود فردية من قبل علماء الأمة ومفكريها في ميادين العلم والسياسة بعيداً من هذا التوجه، فهو وإن كان خيراً له أثر في الأمة، ولكنه ليس الأثر المرجو، فلو اجتمع في عصرنا كبار الأئمة والعلماء من تاريخنا، كالشافعي وابن حنبل وابن تيمية وغيرهم واشتغلوا بالعلم وجمعه وتدريسه في الحلقات وتركوا مخاطبة الجيوش لما انتفعت الأمة منهم النفع الذي تحتاجه، إن الاشتغال بإقامة الدين في الأرض تكليف شرعي عظيم، وما ذلّ المسلمون واستكانوا في الأرض إلّا بتركه والإعراض عنه، فعلى المسلمين أن يُقبلوا عليه لتحل قضاياهم جميعاً تترى، ولينالوا رضا ربهم وجناته، ولينالوا شرف الدنيا والآخرة.■

خُبيْبُ بْنُ عَدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

المهندس شفيق خميس - اليمن

هو خُبيْب بن عَدِي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأوسي الأنصاري، صحابي جليل، بطل من أبطال الإسلام الأوائل، من أهل المدينة.

شَهِدَ غزوتي بدر وأحد مع النبي ﷺ. بعثه رسول الله ﷺ ضمن ستة من الصحابة يعلمون قبيلتي عُضَل والقارة الإسلام.

ذكر ابن هشام في سيرته ج٣ عن مقتل خُبيْب بن عدي تحت عنوان ذِكر يوم الرجيع، أن رهطاً من عُضَل والقارة - وهما قبيلتان معديتان عدنانيتان بالنسب تعودان إلى الهَوْن بن خُزيمة بن مدركة - جاء إلى المدينة المنورة متظاهراً بالإسلام «فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ فِينَا إسْلَاماً، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَراً مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَنَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفَراً سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ» بينهم خُبيْب بن عَدِي رضي الله عنه. خرجوا مع القوم حتى كانوا على ماء لقبيلة هُذَيل بناحية الحجاز يسمى الرجيع، غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هُذَيْلاً. فغشيهم قوم من بني لحيان وسيوفهم بأيديهم، «فَقَالُوا لَهُمْ: إنَّا وَاَللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ».

ثلاثة من الصحابة قالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، فقاتلوا حتى قُتلوا. وأما الثلاثة الآخرون بينهم خُبيْب بن عَدِي رضي الله عنه، فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة، فأوثقوا بأوتار قسيهم، أحدهم هو عبد الله بن طارق رضي الله عنه نزع يده من القِران، وأخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقبره بالظهران.

ثم سِيْقَ خُبيْب بن عَدِي وصاحبه وزيد ابن الدَّثُنة رضي الله عنهما، فقدموا بهما مكة ليبيعوهما بأسيرين من هُذَيل كانا بمكة. ابتاع خُبَيْباً بن عَدِي حُجَيْرُ بن أبي إهاب أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم، لعُقبة بن الحارث بن عامر، ليقتله بأبيه الحارث بن عامر بن نوفل، الذي قتله خُبيْب بن عَدِي يوم بدر. وذلك لصلة قرابة بينهما، فقد كان أبو إهاب التميمي، والحارث بن عامر أخوين لأم.

ثم إن خُبَيْب بن عَدِي قعد فيهم حتى تنقضي الأشهر الحُرُم قبل أن يقتلوه. قات ماويَّة مولاة حُجَيْر بن أبي إهاب وكان قد حبس في بيتها: «قَالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ الْقَتْلُ: ابْعَثِي إلَيَّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهَّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ، قَالَتْ: فَأَعْطَيْتُ غُلَاماً مِنَ الْحَيِّ الْمُوسَى، فَقُلْتُ: ادْخُلْ بِهَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ

الْبَيْت، قَالَت: فوالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّى الْغُلَامُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَاذَا صَنَعْتُ! أَصَابَ وَاَللَّهِ الرَّجُلُ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هَذَا الْغُلَامِ، فَيَكُونُ رَجُلاً بِرَجُلٍ، فَلَمَّا نَاوَلَهُ الْحَدِيدَةَ أَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ: لَعَمْرَكَ، مَا خَافَتْ أُمُّكَ غَدْرِي حِينَ بَعَثَتْكَ بِهَذِهِ الْحَدِيدَةِ إِلَيَّ! ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ» (سيرة ابن هشام ج٣ ص١٢٧)

حين خرجت به قريش إلى التنعيم ليصلبوه، «قَالَ لَهُمْ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدَعُونِي حَتَّى أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَافْعَلُوا، قَالُوا: دُونَكَ فَارْكَعْ. فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أَتَمَّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: أَمَا وَاَللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جَزَعاً مِنَ الْقَتْلِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ» (المصدر السابق ص١٢٧)

ثم اختتم خُبَيْب حياته، بعد أن رفعوه على خشبه وأوثقوه، بدعاء ارتجف له الحاضرون، فقال: «اللَّهمّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ، فَبَلِّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهمّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» (المصدر السابق ص١٢٧-ص١٢٨)

فأخافت دعوته فرقاً معاوية بن أبي سفيان، وكان يُغشى على سعيد بن عامر الجُمحي بين الناس إذا ذكرها. وقال الحارث بن البرصاء: ما كنتُ أظُن أن سيبقى منا أحد.

وتلا أبياتاً من الشعر قال فيها:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيَ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وِإِنْ يَشَأ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

أخذ الحربة أبو مَيْسرة أخو بني عبد الدار وجعلها بين يدي أبو سروعة عُقبة بن الحارث - لصغر سنه - ثم طعنه بها حتى قتله. تركته قريش مصلوباً، ورصدت حواليه العيون لئلا ينزله أحد، فيوارى الثرى

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي خُبَيْباً:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَا مَدَامِعُهَا ... سَحاً عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ القَلِق

عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى الفِتْيَانِ قَدْ عَلِمُوْا ... لَا فَشَلٍ حِيْنَ تَلْقَاء وَلَا نَزِق

فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللَّهُ طِيِّبَةً ... وَجَنّةَ الخُلْدِ عِنْدَ الحُوْرِ فِي الرُّفُق

مَاذَا تَقُوْلُوْنَ إِنْ قَال النبيُّ لَكُم ... حَيْنَ المَلَائِكَةُ الأَبْرَارُ فِي الأُفُق

فِيْمَ قَتَلْتُمْ شَهِيْدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ ... طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ فِي البُلْدَانِ وَالرُّفَق

وزاد الطبري في تاريخه ج٢ أن رسول اللَّه ﷺ بعد قتل خُبَيْب بْن عَدِي، بعث عمرو بن أُميَّة الضَمري ورجلاً من الأنصار، لقتل أبي سفيان بن حرب في مكة، فانكشف أمرهما أن عرف رجل من قريش عمرو بن أُميَّة الضَمري، ولم يصلا إلى هدفهما. وأن عمرو بن أُميَّة الضَمري قال: «فَجِئْتُ إِلَى خَشَبَةِ خُبَيْبٍ وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعُيُونَ، فَرَقَيْتُ فِيهَا، فَحَلَلْتُ خُبَيْباً، فَوَقَعَ إِلَى الأَرْضِ، فَانْتَبَذْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَلَمْ أَرَ لِخُبَيْبٍ رِمَّةً، فَكَأَنَّمَا الأَرْضُ ابْتَلَعَتْهُ، فَلَمْ تُذْكَرْ لِخُبَيْبٍ رِمَّةٌ حَتَّى السَّاعَةِ» (تاريخ الطبري ج٢ ص٥٤١-٥٤٢) لذلك لُقِّبَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِي رضي الله وأرضاه «بليع الأرض».■

من أحكام الطريقة: علاقة الدولة مع المشركين

خليفة محمد- الأردن

قال تعالى:

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾[التوبة/٣].

هذه الآية من سورة التوبة، وتسمّى أيضاً سورة براءة، لابتدائها بإعلان براءة الله سبحانه وتعالى من المشركين، وبراءة رسوله ﷺ منهم. ولتكرار ذكر توبة الله سبحانه وتعالى على عباده سمّيت سورة التوبة.

نزلت سورة التوبة في السنة التاسعة للهجرة، وكان رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر الصديق أميراً على الحج لذلك العام، فلما نزلت سورة التوبة أرسلَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بسورة التوبة ليقرأها على الناس في الحج، فلقد كان حج البيت مُتاحاً لكل الناس حتى حج ذلك العام، وجاءت سورة التوبة لتنظم علاقات المسلمين مع المشركين، فقد نادى عليّ بن أبي طالب في الحجيج بعد قراءة سورة التوبة بأربعة أمور-كما ذكر القرطبي في تفسيره-: ألا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي.

فجاءت السورة لتقطع دابر المشركين في الجزيرة العربية، ولتفضح المنافقين، ولذلك ورد من أسمائها الفاضحةُ والمخزيةُ، وتتوب على المؤمنين الصادقين فسمّيت المقشقِشة، لأنها تبرئهم من النفاق. ولم تبدأ السورة بالبسملة لأنّ البسملة فيها رحمة، والبراءة تتنافى مع الرحمة.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي إعلامٌ وإعلانٌ. وأسنِدَ هذا الإعلام إلى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ لأنّه تشريع، أي حكم شرعي واجب الاتّباع، آتٍ من الله سبحانه وتعالى، وبلّغَه رسولُه ﷺ، والأذانُ في بداية هذه الآية خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي جميع من حضر ذلك الموسم، المسلمين والمشركين، فقد كان حج البيت مُتاحاً لجميع الناس مسلمهم ومشركهم، فجاء الخطاب لهم جميعاً، وكان ذلك الموسم آخر موسم يسمح فيه للمشركين بحج البيت وهم على دينهم.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ اختُلف في المقصود بيوم الحج الأكبر، فقيل إنه يوم عرفة التاسع من ذي الحجة، وقال بهذا عدد من الصحابة والتابعين والفقهاء، وقيل إنّه يوم النحر العاشر من ذي الحجة، وقال به أيضاً عدد من الصحابة والتابعين والفقهاء، ولعلّ الأرجح أنْ يكون يوم عرفة التاسع من ذي الحجة؛ لقول الرسول ﷺ: (الحجُّ عَرَفة)، ولأنّ جميع الحجيج يجتمعون على جبل عرفات في ذلك اليوم. أمّا في يوم النحر فينصرف الناس إلى مناسك ذلك اليوم فيتفرقون بين مِنى ورمي الجمرات والطواف والسعي.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ هذا مضمون الإعلام ببراءة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ من المشركين، بتقدير باء محذوفة متعلقة بالأذان، والتقدير: أذانٌ بأنَّ...، وفي هذه الجملة توكيد لمضمون الآية الأولى من السورة. وقرأ القراءُ جميعهم برفع (رسولُه) من باب عطف الجملة على الجملة، والتقدير (ورسولُه بريءٌ من المشركين)، وقيل غير ذلك، لكن المعنى واحد. ولا يصحُّ قول بعض المفسّرين بقراءة الجرِ في (ورسوله) ونسبتها إلى الحسن البصريّ؛ لأنّ المعنى بها يصبح أنّ الله بريء من المشركين وبريء من رسولِه، وفي هذا ما لا يخفى من الخطأ ومجانبة الصواب.

ومن طريف ما يُروَى أنّ أعرابياً سمع رجلاً قرأ: (أنّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولِهِ) بجرّ: ورسولِه، فقال الأعرابي: إنْ كان اللهُ بريئاً من رسوله فأنا منه بريء، وإنّما أراد لفت نظر القارئ إلى خطئه، فلبَّبَه الرجل إلى عمر، أيْ: أمسَكه من تلابيبه وساقه إلى الخليفة، فحكى الأعرابيُّ قراءتَه، فعندها أمر عمرُ بتعلّم العربية. وروي أيضاً أنّ أبا الأسود الدؤلي سمع ذلك فرفع الأمرَ إلى عليّ. فكان ذلك سبب وضع علم النحو، وقد ذكرت هذه القصة في بعض كتب النحو في ذكر سبب وضع علم النحو.

وهذه الآية بالإعلام بأنّ الله بريء من المشركين وأنّ رسوله كذلك بريء من المشركين جاء على صيغة الخبر، لكنّه مما ينصرف إلى الإنشاء، فيكون معناه معنى الأمر؛ أي: آذِنوا المشركين بذلك الإيذان، وبراءة الله سبحانه من شيء من أكبر القرائن على تحريم ذلك الشيء المتبَرَّأ منه وهو الشرك.

﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ﴾ في هذا الجزء من الآية تفصيل لحال المشركين بعد هذا الإعلام، فمن يتوب منهم عن شركه ويؤمن بالله ورسوله فهو خير له، ومن يتولّى ويستمرّ في تولّيه وإعراضه فليعلم أنّه لن يفلِتَ من قبضة الله سبحانه وتعالى، وأنّه لن يعجزه، ويستحق بذلك عذاب الله تعالى.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عُطِفَت هذه الجملة على الجملة الأولى في الآية لما في تلك الجملة الأولى من معنى الأمر، فكأنّه قيل: فآذِنوا الناسَ ببراءةِ اللهِ ورسولِه من المشركين، وبأنّ مَنْ تاب منهم فقد نجا ومَنْ أعرض فقد أوشك على العذاب، ثم قال: وبشر المعْرِضين المشركين بعذابٍ أليم.

وأصل معنى البشارة هو الإخبار بما يَسُرّ، لكنّه استُعير هنا للإنذار والإخبار بما يسوء على سبيل التهكّم من المبشّرين بالعذاب.

والعذاب الأليم: هو عذاب القتل، والأسر، والسبي، وفَيء الأموال، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة/٢٦]، فإنّ تعذيبهم يوم حُنَيْنٍ بعضه بالقتل، وبعضه بالأسر والسبي وغنم الأموال، أي: أنذِر المشركين بأنّك مُقاتِلُهم وغالِبُهم بعدَ انقضاءِ الأشهر الحرم، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾ [التوبة/٥]. وإطلاق لفظ العذاب يشمل عذاب الدنيا والآخرة، إلا إذا وردت قرينة تخصصّه، كما في سورة القلم بعد ذكر قصة أصحاب الجنة عقّب سبحانه وتعالى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [القلم/٣٣]

تضمنت الآية الكريمة مع ما سبقها وتلاها من آياتٍ بعضاً من أحكام السياسة الخارجية، التي هي من أحكام الطريقة، فقد نظّمت علاقة الدولة الإسلامية في دار الإسلام مع غيرها من الكيانات الأخرى في الجزيرة العربية، وأساس السياسة الخارجية في الإسلام هو حمل الدعوة، فتُقام العلاقات بين دولة الخلافة وبين الدول الأخر بما يحقّق مصلحة الدعوة، وبما لا يتعارض معها. والواجب على المسلمين وعلى حكام المسلمين اليوم أنْ تكون علاقاتهم مع الدول القائمة في ديار الكفر على هذا الأساس، فلا يتحالفوا معهم ضد المسلمين، ولا يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين. والأصل أن يكون المسلمون جميعهم في كيان سياسيّ واحد كما فعل رسول الله ﷺ، يحكمهم خليفة واحد، نسأل الله تعالى أن يغيّر حال المسلمين إلى أحسن حال.■

ترامب يهدد عُمان ولا يجد من يردعه من حكام المسلمين

هدّد الرئيس الأميركي دونالد ترامب بمهاجمة عُمان، حليفة الولايات المتحدة، إذا وقفت إلى جانب إيران في قضية إعادة فتح مضيق هرمز. وقال ترامب إن على عُمان أن «تحسن التصرف» وإلا فإنه «سينسفهم»، وذلك رداً على سؤال حول ما إذا سيقبل باتفاق قصير الأمد يسمح لإيران والدولة الخليجية بالتحكم بالممر المائي.

وقال ترامب لصحافيين خلال اجتماع لإدارته في البيت الأبيض «كلا، المضيق سيكون مفتوحاً للجميع». وتابع «إنها مياه دولية، وعُمان ستحسن التصرف مثل الجميع، وإلا فسيتعين علينا نسفهم. يفهمون ذلك وسيكونون على ما يرام».

الوعي:

لم يجد ترامب من حكام المسلمين من يردعه فهانوا في نظره أكثر وأكثر، ذلك أنهم اعتادوا الخطف والتعذيب وقمع الشعوب أما الإعداد للحروب ضد المحتلين فليست من اختصاصهم.

فلو وجد ترامب في حكام المسلمين رجالاً يردون عليه الصاع صاعين لما تجرأ على إطلاق تصريحاته الهوجاء، لكنهم استمرأوا الذل والهوان والتبعيّة، ودولة الخلافة القادمة قريبا إن شاء الله وحدها القادرة على كبح جماحه وإخراس لسانه ورد أمريكا إلى جزيرتها وعزلتها كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية.

النظام الأوزبكي يستخدم أساليب دنيئة لإخضاع السجناء الصامدين الذين اقتربت مواعيد الإفراج عنهم

أصدر المكتب الإعلامي لحزب التحرير في أوزبيكستان بيانا صحفيا بعنوان «نظام ميرزياييف يمارس أشنع الأساليب القمعية بحق المسلمين في سجن زرافشان!» بتاريخ ٢٦ من ذي القعدة ١٤٤٧هـ الموافق الأربعاء, ١٣ أيار/مايو ٢٠٢٦ م جاء فيه: ««وفقاً للأنباء والتقارير التي وردتنا، ثمة انتهاكات ممنهجة وضغوطات نفسية وجسدية تمارس بحق المعتقلين في

السجن رقم ١٢ بمدينة زرافشان بولاية نوائي. ويستهدف هذا التنكيل بشكل خاص شباب حزب التحرير القابعين خلف القضبان لثباتهم على قول «ربنا الله»، حيث يتعرضون لاستفزازات مهينة تهدف إلى النيل من كرامتهم وإذلالهم.

لقد وجه النظام الظالم مخالبه القذرة مرة أخرى نحو الشباب الثابتين على دين الله، ولا سيما القابعين في المؤسسة الإصلاحية رقم ١٢ بمدينة زرافشان. إن الجرائم المرتكبة هذه المرة لا تنافي القيم الإنسانية فحسب، بل تتجاوز في بشاعتها حتى الغرائز الحيوانية، حيث تغلغلت فيها استفزازات دنيئة تستهدف سحق الكرامة الإنسانية وإهانة الشرف.

يستمر رئيس القسم العملياتي في المؤسسة، المقدم في جهاز أمن الدولة محمود حسينوف وأعوانه، في استخدام أساليب دنيئة لإخضاع السجناء الصامدين الذين اقتربت مواعيد الإفراج عنهم، وذلك بهدف انتزاع (توبة) قسرية منهم وكسر إرادتهم. ومن بين هؤلاء الإخوة أسد الله إشبولتاييف وصديق خوجاييف، حيث تمارس ضدهما «استفزازات المادة الخضراء»، وهي مسرحية قذرة تحاكي سياسة الطاغية كريموف، وتقوم على التهديد بالاعتداء الجنسي على السجين أثناء نومه، لإجباره تحت وطأة هذا التهديد الشنيع على كتابة (رسائل توبة) مزيفة.

إن هذه الممارسات تكشف الوجه الحقيقي للنظام الاستبدادي ومدى عمق كراهيته الدفينة للمسلمين.

إن سياسة اللعب على الحبلين التي ينتهجها هذا النظام اليوم من خلال ارتمائه في أحضان روسيا المستعمرة تارة، وأمريكا الصليبية تارة أخرى، هي أصل هذه المظالم وجوهرها. ففي الوقت الذي تمارس فيه روسيا أشد أنواع الإذلال بحق المهاجرين المسلمين، وبينما يسفك ترامب دماء الأمة الإسلامية في غزة وإيران والسودان كالأنهار، يسعى نظام ميرزياييف لنيل رضاهم عبر قمع شعبه وإخوانه في الدين بأحط الأساليب وأكثرها دناءة.

حكام المغرب يرعون كرنفال بوجلود ليعيدوا المسلمين إلى الجاهلية!

يثير طقس "بوجلود" أو "بيلماون" مع كل عيد أضحى نقاشاً متجدداً بين المغاربة، بين من يعتبره جزءاً من التراث الثقافي الأمازيغي المتجذر في الذاكرة الجماعية، ومن ينظر إليه باعتباره ممارسة فقدت بعضاً من معانيها الأصلية بفعل التحولات التي طرأت

عليها عبر الزمن.

فبينما تبرز أصوات منتقدة لطقس "بوجلود"، معتبرة إياه في بعض الأحيان "بدعة" أو محطة تشهد بعض الممارسات الدخيلة التي تخرج عن النص، تنبري أصوات أخرى للدفاع عن هذا الكرنفال الشعبي، مشددين على أنه ليس مجرد تنكر عابر، بل هو إرث لا مادي يضرب بجذوره في عمق الهوية والتاريخ، ويحتاج إلى التقويم بدلاً من الطمس.

الوعي:

حكام المغرب بعدما خربوا الدار ها هم يجهدون ويكدّون في تحويل أهلها لكفار فجار، تزامنا مع نحر المسلمين وأيام تقديسهم وتعظيمهم لله، فيأبى نظام الفجور في المغرب إلا إحياء الجاهلية الغابرة ودنس وثنيتها، في مفارقة كافرة وقلبا للموازين وإحلال السافل المدنس محل العالي المقدس، وتحويل أيام التقديس والتعظيم والتهليل والتكبير لأيام للشرك والدنس والنعيق والنهيق! هي سياسة رسمية لتضليل أبناء المسلمين، هي الجاهلية الوثنية الغابرة تساق لأبناء الإسلام فولكلوراً ولغواً، هو الشرك والكفر يساق لهم هزلاً في موسم التدنس بجلود الأنعام وقرونها وإقامة طقوس وثنيتها البالية.

الحركة الإبراهيمية تنشط بشكل علني في سوريا

كثّفت «الحركة الإبراهيمية» خلال الأسابيع الأخيرة حضورها في سوريا عبر سلسلة تعيينات هدفت إلى فتح قنوات تواصل مع عدد من مكونات المجتمع السوري.

وفي هذا السياق، أصدرت «الحركة الإبراهيمية» السورية برئاسة المهندس جمال صباغ قرارات تعيين شملت:

محمد إبراهيم السيد مديراً للحركة في الوسط العلوي، والدكتور جوزف فريو مديراً للحركة في الوسط السرياني، إضافة إلى تعيين الدكتور سامر الأحمد مديراً للجنة القانونية، وسامي نوفل مديراً للجنة الإعلامية.

وفي موازاة ذلك، أعلن مؤسس «الحركة الإبراهيمية العالمية» توم واغنر في ١٣ أيار/مايو الماضي تعيين مجد جبيلي مبعوثاً خاصاً للحركة إلى المجتمع العلوي. كما أصدرت رئاسة الحركة في سوريا بياناً أكدت فيه التزام الحوار والتعددية والتعايش ورفض خطاب

الكراهية والتطرف.

الوعي:

عند يستند الحكام إلى الغرب لا إلى شريعة الإسلام والحاضنة الشعبية المطالبة به تكون النتيجة تلقي الأوامر من الجهات الداعمة. تلك الجهات التي تصنفك «إرهابيا» ثم تخلع التصنيف عندما تجدك مرضيا. فتقبل بالتطبيع مع كيان يهود والترويج للديانة الابراهيمية تفتح المجال للدعوة لها عن طريق أحزاب سياسية بينما تمنع العمل الحزبي السياسي على دعاة مشروع الإسلام الحضاري.

توماس فريدمان.. كم كأسا مُرّة سيتجرعها ترامب في حرب إيران؟

يقول كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز توماس فريدمان إنه لم يتبق سوى سؤالين عن الحرب الأمريكية على إيران، أولهما: كم كأس مرارة سيتجرعها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لإنهاء هذه الحرب بالحد الأدنى من الإنجازات؟ وثانيهما: هل سيقول ترامب إن ما يتجرعه من مرارة هو وجبة فاخرة؟

ويضيف أنه لا يمانع في أن يضطر ترامب لتجرع كؤوس كثيرة كأن لا يتحقق «الاستسلام غير المشروط» لإيران الذي وعد به، إذا كان ذلك سيؤدي إلى تخلي إيران عن نحو ١٠٠٠ كيلوغرام من اليورانيوم القريب من درجة صنع السلاح النووي، لأن ذلك من شأنه أن يزيل التهديد المباشر بامتلاك إيران قنبلة نووية.

ويشدد على أن ذلك -حتى لو تم- لا يخولنا القول إن ترامب انتزع صفقة مثالية ومغرية لأن تأمين هذا اليورانيوم عالي التخصيب لن يُبقي فقط النظام في السلطة، مع احتفاظه بنحو ١٠ أطنان من اليورانيوم منخفض التخصيب، بل سيقويه فعلا بشكل مقلق.

وسيذكر التاريخ أن ترامب ونائبه جيه دي فانس ووزير الحرب بيت هيغسيث ووزير الخارجية ماركو روبيو هم الفريق الذي منح إيران فرصة جديدة للحياة في اللحظة التي كانت فيها بأضعف حالاتها أمام شعبها.

ويرى فريدمان أن الطريقة الوحيدة التي ستتخلى بها إيران عن ذلك اليورانيوم القريب من درجة صنع القنبلة النووية ستكون في إطار اتفاق يرفع الحظر الأمريكي

على صادرات النفط الإيرانية، ويفكك شبكة العقوبات الاقتصادية الأمريكية المفروضة على طهران، وهو ما سيمنح النظام مصدرا ماليا ضخما يستخدمه لشراء ذمم المعارضة، ومواصلة قمع الشارع وتمويل وكلائه في لبنان والعراق واليمن.

وينقل الكاتب عن روبرت ليتواك، خبير الحد من التسلح ومؤلف كتاب «الدول المارقة والسياسة الخارجية الأمريكية» قوله إن ترامب أطلق هذه الحرب التي اختارها بهدف تغيير النظام في طهران، لكنه الآن على وشك إنهائها عبر صفقة ستكون نسخة معدّلة من الاتفاق الذي فاوض عليه أوباما عام ٢٠١٥ وقيد طموحات إيران النووية قبل أن يتخلى عنه ترامب «بتهور» عام ٢٠١٨.

ويضيف فريدمان أن ترامب وفريقه للأمن القومي لم يضعوا -على ما يبدو- أي سيناريوهات قبل الحرب، واعتمدوا فقط على وعود رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو بأن النظام الإيراني سيتهاوى ويسقط بعد أسابيع قليلة من القصف العنيف، وفشلوا في توقع ما يمكن أن تفعله إيران وهي في موقف المحاصر.

فقد كان أول ما فعلته إيران هو إغلاق مضيق هرمز، الممر الحيوي لشحن النفط والذي يمر عبره نحو ٢٠٪ من نفط العالم الخام، وهو ما أدى إلى ارتفاع أسعار الوقود عالميا، فضلا عن اكتشاف إيران قدرتها على خنق الاقتصاد الأمريكي والعالمي فقط ببعض الطائرات المسيّرة وصواريخ كروز وعناصر قليلة من الحرس الثوري، يضيف فريدمان.

وبعبارة أخرى، افترض ترامب ونتنياهو أن منظومتهما العسكرية العملاقة التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات يمكن استخدامها لقصف إيران وإجبارها على التخلي عن مكونات سلاح دمار شامل، لكنهما مكّنا إيران من اكتشاف «سلاح التعطيل الشامل» الذي تملكه .

ويشدد الكاتب على أن هذه الخطوات المتهورة مكنت النظام الإيراني من اكتشاف أهمية سلاحه الدائم الذي لا يقدر بثمن وهو إغلاق أهم صنبور نفط في العالم متى شاءت، مشيرا إلى أن فشل ترامب في توقع هذا الأمر هو طبيعي لأنه يعتقد أنه يعرف كل شيء، بينما هو في الواقع لا يعرف شيئا.

مرادفات الخوف في القرآن الكريم وعلاقة ذلك ببلاغته

عائشة الزعتري - فلسطين

يعد الترادف بين ألفاظ اللغة العربية من صور بلاغتها، ويعرّف أنه ألفاظ مختلفة تدل على ذات المعنى أو على معانٍ متقاربة، أما لغة فهو كما جاء في لسان العرب: «ردف: تبع، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، وفي حديث بدر يقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴿٩﴾﴾ أي: متتابعين يردف بعضهم بعضاً، أي يأتون فرقة بعد فرقة»، وقيل سميت الألفاظ المختلفة الدالة على ذات المعنى ترادفاً لأنها تتوالى وتتتابع وراء بعضها للدلالة على ذات المعنى.

واختلف العلماء في وجود الترادف في اللغة العربية بشكل عام وفي القرآن الكريم بشكل خاص، فهناك فريق قال بوجوده، وعزى ذلك إلى أسباب منها: اختلاف لهجات اللغة العربية عند قبائل العرب، حيث تطلق ألفاظ عدة للدلالة على ذات المعنى، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كانَتِ امرَأتانِ معهُما ابناهما، جاءَ الذِّئبُ فذَهَبَ بابنِ إحداهما، فقالت صاحِبَتُها: إنَّما ذَهَبَ بابنِكِ، وقالتِ الأُخرى: إنَّما ذَهَبَ بابنِكِ، فتَحاكَمَتا إلى داوُدَ، فقَضى به للكُبرى، فخَرَجَتا على سُلَيمانَ بنِ داوُدَ فأخبَرَتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّينِ أشُقُّه بينَهما، فقالتِ الصُّغرى: لا تَفعَلْ يَرحَمُكَ اللهُ، هو ابنُها، فقَضى به للصُّغرى. قال أبو هُرَيرةَ: واللهِ إن سَمِعتُ بالسِّكِّينِ إلَّا يَومَئذٍ، وما كُنَّا نَقولُ إلَّا المُديةَ**» فالسكين والمدية لفظان مترادفان كانا يستخدمان في لهجات مختلفة.

وأيضا يرون أن من أسباب وجود الترادف هو إطلاق العرب صفات على الأشياء فتغلب مع الزمن فتصبح مسميات لها، فمثلاً للسيف مرادفات كثيرة منها: المهند نسبة إلى الهند، والحسام أي الذي يحسم الدم أو العدو، ومن الأمثلة أيضاً على ذلك مرادفات الأسد، حيث بلغ للأسد عشرات الأسماء التي هي بالأصل صفات له، منها: الليث وهو من الشدة والقوة والشجاعة، وغضنفر أي الغليظ والعظيم الخلق، فهذه صفات ونعوت للسيف وللأسد في الأصل، ثم تعارف العرب على أنها أسماء لها.

وآخرون يقولون بعدم وجود ترادف في اللغة، وخاصة في القرآن الكريم، فكل لفظ

يطلق على مدلولٍ ما يحمل فرقاً دقيقاً بالمعنى، يزيد أو يختلف به عن الألفاظ الأخرى التي تدل عليه.

لذلك يعرف الترادف أنه ألفاظ مختلفة تدل على ذات المعنى أو على معانٍ متقاربة، لورود الحالتين في اللغة، فمثلاً يرى ابن تيمية أن الترادف في اللغة قد يقع ولكنه قليل، أما في القرآن فيكاد يكون معدوماً، فكل لفظ من الألفاظ التي تعتبر مترادفة يؤدي في حقيقته معنىً لا يؤديه غيره بنفس الدقة والبلاغة، ويعتبر هذا من وجوه إعجاز القرآن الكريم البياني، ومن دقته وبلاغته في الصياغة والتعبير، فيقول في كتابه (مقدمة في أصول التفسير): «فإنَّ الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإمّا نادر وإمّا معدوم، وقلَّ أنْ يُعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن».

وعلى العموم فإن الأخذ بالترادف بين الألفاظ يساعد ويسهل دراسة اللغة والإلمام ببعض جوانبها، وخاصة عند طلاب المدارس والجامعات، والمبتدئين والأعاجم الذين يريدون تعلم العربية، وهو يعين الدارس على إدراك سعة اللغة وغزارة ألفاظها، ويعين على زيادة المخزون اللغوي عنده، ثم إن دراسة الألفاظ المترادفة ودراسة الفوارق الدقيقة بينها يثري قريحة الدارس وينمي إدراكه وفهمه للنصوص، وخاصة القرآن الكريم، حيث يدرك شيئاً أو جانباً حتى لو يسيراً من بلاغة اللغة، وبلاغة القرآن وإعجازه.

والقرآن الكريم بشكل عام فيه من المترادفات الكثير، حيث كل لفظ منها يشير إلى معنىً معين لا يؤديه غيره وإن كان قريباً في أداء المعنى من غيره، وفي مقالنا هذا سنقف عند لفظ الخوف ومرادفاته في القرآن الكريم.

والخوف في حقيقته مشاعر فطرية خلقها الله في النفس البشرية، فالأمر الفطري الطبيعي عند البشر أنهم يحملون مشاعر الخوف، وهم يجتمعون على الخوف من أمور ويختلفون في أخرى، وقد يقع الخوف عند شخص ولا يكون له داعٍ حقيقي، كأن يكون محض توهم أو حالة في نفسه فيخاف ما لا يُخاف ولا يُخشى.

ومشاعر الخوف كسائر المشاعر الأخرى يمكن للإنسان أن يضبطها بأفكاره ومفاهيمه، فيسعى لتوجيهها وعدم الانقياد لها، والقرآن يؤدب ذلك في المؤمن، فيوجهه لضبط حزنه وفرحه وحبه وكرهه وغضبه وغيرها، وذلك ليدفعه إلى مقام عالٍ أراده رب العزة له، فمثلاً ينهى المسلم عن الخوف من الشيطان وأوليائه، ويأمره بالخوف من الله عزّ وجلّ، مما يؤكد أن المرء يستطيع ضبط خوفه فلا يغلبه، وذلك بما لديه من عقائد ومفاهيم، يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ فالآية الكريمة تأمر بالخوف من الله وتنهى عن الخوف من أولياء الشيطان، وذلك كنتيجة للإيمان، وكمحصلة

لمجموعة من التصورات التي يقرها الإيمان في نفس المسلم.

فالخوف عند المؤمن يجب أن يرتبط بمفاهيم تضبطه، ولذلك القرآن الكريم يذّكر المؤمن بالله وصفاته، وباليوم الآخر وأهواله وناره، ويهون في عينيه بطش الناس وطغيانهم، وأنهم لو اجتمعوا على أذيته وضره ما استطاعوا إلا أن يأذن الله بذلك، يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

ويروي الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ**».

ويهون القرآن الكريم كذلك على المؤمن الكثير من المخاوف في هذه الدنيا، وينهاه أيضاً عن الكثير منها، فمثلاً ينهاه عن الخوف على الرزق، أو الخوف من الموت، فهي بأمر الله، وينهاه أن يكون الخوف من الطغاة والأعداء وما يروعون الناس به من قتل واعتقال وتعذيب مدعاة للجبن، كل ذلك من أجل أن يجعل خوف المؤمن من ربه ومن عذابه أشد من خوفه مما سواه.

ويجعل القرآن كذلك الخوفَ من الابتلاءات، والتي يختبر فيها المؤمنون في إيمانهم بالله وبقدرته وبقوته وبتدبيره، والتي تحتاج منهم الصبر والمصابرة والاستعانة بالله، يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ والخوف لا بد واقع في النفس فهو أمر فطري، ولكنّ الإسلام يطالب المؤمن أن لا يكون هذا الخوف مانعاً له عن طاعة، أو موقعاً له في معصية، والسيرة النبوية الشريفة وسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتحدث عن مواقف وقع فيها الخوف في النفوس، ولكنه لم يكن معيقاً للصحابة من مواقف البطولة والعزة التي ترضي الله سبحانه وتعالى، ففي غزوة الخندق عندما حوصرت المدينة، وأُطبق الحصار عليها من الأحزاب، وصف القرآن الكريم الموقف في سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ جاء في تفسير الطبري: « قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي شخصت، وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف والفزع فبلغت إلى الحناجر» ولكن الصحابة رضوان الله عليهم بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا في هذه الواقعة، وأظهروا الشجاعة والبطولة في المواقف رغم أجواء الخوف السائدة.

فالإسلام يغرس في نفوس أبنائه الشجاعة ونبذ الجبن، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من أشياء من ضمنها الجبن، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعَلِّمُنا هؤلاء الكَلِماتِ كما تُعَلَّمُ الكِتابةُ: اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ البُخلِ، وأعوذُ بكَ مِنَ الجُبنِ، وأعوذُ بكَ مِن أن نُرَدَّ إلى أرذَلِ العُمُرِ، وأعوذُ بكَ مِن فِتنةِ الدُّنيا، وعَذابِ القَبرِ**»، وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**شرُّ ما في رجلٍ شحٌّ هالعٌ وجبنٌ خالعٌ**»

وأمّا خوف المؤمن من ربه فغايته التي ترجى هي التقوى، فلا خير في خوف من الله إذا لم يؤدِّ إلى التقوى، والتقوى لغة كما وردت في لسان العرب: (من وقي، ووقي الشيء أي حفظه وصانه وحماه مما يؤذيه، يقول تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، جاء في تفسير الطبري: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويُسارعوا إلى طاعته، ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها)، وجاء في لسان العرب: (في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴿١٨﴾﴾ تأْويله: إِني أَعوذ بالله منك، فإِن كنت تقيّاً فسَتَتَّعِظ بتعَوُّذي بالله منكَ).

وتقوى الله هي الخوف من الله سبحانه وتعالى الذي يُلزم صاحبه بالعمل لاجتناب ما يخافه ويخشاه، أي الخوف الذي يدفع المؤمن للالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، لذلك عرّف الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى بأنها: «الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل»، فالتقوى: خوف ورجاء وعمل، وعن طلق بن حبيب: «إذا وقعت الفتن، فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: هي أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاءَ رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نورٍ من الله مخافةَ عذاب الله».

وجاءت آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة تقرن بين التقوى والعلم، يقول تعالى في سورة البقرة في مواضع عدة فيها:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١٩٤)

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١٩٦)

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢٠٣)

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣)

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢٣١)

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٣٣)

فالقرآن الكريم يعلّم المؤمن ويعرّفه بأحوال كثيرة، كأحوال المؤمن وأحوال الآخرة وغيرها، لتكون هذه المعرفة وهذا العلم دافعاً

للتقوى، وذلك إما بترغيبه أو بترهيبه.

اما مرادفات كلمة الخوف في القرآن الكريم فهي متعددة منها:

١-**الخشية:** الخشية لغة كما جاء في لسان العرب: (الخشية: الخوف، وخشي الرجل يخشى خشية: خاف، وقوله عز وجل: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ قال الفراء: فخشينا: فعلمنا، وقال الزجاج: فخشينا من كلام الخضر: كرهنا.

وفي حديث خالد: أنه لما أخذ الراية يوم مؤتة دافع الناس وخاشى بهم، أي: أبقى عليهم وحذر فانحاز).

فالخشية خوف مقرون بحذر واحتراز من وقوع ضرر أو أذى، فيخاف وقوعه فيحذر منه، يقول تعالى في سورة النساء: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ الآية هنا جمعت الخشية والخوف والتقوى، وليخش أي ليخف وليحذر من كان عنده ذرية ضعافاً يخاف عليهم لضعفهم، وليدفعه خوفه وخشيته لتقوى الله بقول القول السديد الصواب، وذلك فيما يتعلق بموضوع الآية الكريمة وهو قسمة مال الميراث.

والخشية كذلك هي خوف مع تعظيم لمن يخشى، يقول تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ (٢٨) يقول ابن كثير في تفسيره: (إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، وكانت الخشية له أعظم وأكثر).

إذن الخشية هي خوف مصحوب بحذر واحتراز، ومقرون كذلك بمعرفة قدر وعظمة من يخشى، لذلك يطلب القرآن من المؤمنين الخشية من الله وترك خشية من هم دونه، فهو العظيم المستحق أن يخشى، يقول تعالى في سورة التوبة: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (١٣) ويقول في سورة البقرة: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ ويقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ فتعظيم المؤمنين لله ولقدره سبحانه يفوق قدر العدو وعدته وعتاده في نفوسهم، فلم تقع لذلك خشية العدو في قلوبهم، بل زاد إيمانهم بالله العظيم الذي تقهر قوته كل قوة.

٢-**الرهبة:** يقول ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: (وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه).

فالرغبة في الشيء هي الميل إليه والسعي للحصول عليه والتقرب منه، أما الرهبة من الشيء فهي الخوف منه والإعراض والابتعاد عنه بعد زجر وتقبيح له، يقول تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ يقول ابن كثير في تفسيره: (ويعني بقوله «رَغَباً»: أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه

من رحمته وفضله، ويعني بقوله «وَرَهَبا» أي رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته).

وفي قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ وإرهاب العدو أي تخويفه.

وقيل أن الرهبة تختلف عن الخوف بأنها حالة يطول وقوعها في نفس صاحبها، ولذلك تسمى حالة الخوف المرضية المزمنة من أمر أو شيء ما عند الإنسان بالرهاب، وأيضاً تسمى في الفكر المعاصر حالة تخويف جماهير الناس من أمر ما على المدى الطويل بالإرهاب. إذن الرهبة: خوف يمتد وقوعه في النفس، ومصحوب بالابتعاد والإعراض وهو ضد الرغبة.

٣- **الفزع:** معنى الفزع في لسان العرب: (الفزع: الفَرَق والذعر من الشيء، وأفزعه: أخافه وروعه، وفزع عنه: كشف عنه الخوف، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ وعدّى فزّع بعن لأنه في معنى كشف الفزع، وفزع إلى القوم: استغاثهم، وفزع إليه: لجأ إليه، وفي حديث الكسوف : «فافزعوا إلى الصلاة» أي الجئوا إليها واستعينوا بها على دفع الأمر الحادث، والفزع أيضا: الإغاثة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع**» أي تكثرون عند الإغاثة، وقد يكون التقدير أيضا عند فزع الناس إليكم لتغيثوهم. وأفزعته لما فزع أي أغثته لما استغاث، ففي الحديث: «**أنه فزع أهل المدينة ليلاً، فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة عرياً، فلما رجع قال: لن تراعوا، إني وجدته بحراً**» **ومعنى قوله فزع أهل المدينة أي استصرخوا وظنوا أن عدواً أحاط بهم، فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: لن تراعوا، سكن ما بهم من الفزع** فالفزع يعني الخوف مع طلب للغوث والبحث عن ملجأ ومأمن، وقيل الفزع خوف مفاجئ وشديد يهز النفس، بينما الخوف قد يكون لتوقع حدوث مكروه، وقد سمي يوم القيامة بيوم الفزع الأكبر، حيث يقوم الناس من قبورهم ويبعثون، فيجدون أنفسهم في أهوال يوم القيامة، فيصيبهم الفزع: خوف مفاجئ شديد يهز نفوسهم، فينتشرون كالفراش المبثوث، يودون لو يغاثوا أو يجدوا ملجأً مما هم فيه، إلا من استثناهم الله من ذلك فيجدون غوثاً وملجأً، يقول تعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾

٤-**الوجل:** معنى وجل في لسان العرب: (الوجل: الفزع والخوف) وقال اللغويون أن الوجل اضطراب القلب نتيجة الخوف، لذلك يسند القرآن الكريم الوجل في أكثر مواضعه إلى القلب، يقول تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾

وهو وإن كان الخوف مقره النفس والقلب، ولكن اللغة إذا أرادت أن تسلط على حال القلب من الخوف قالت وجل قلبه، أي خاف واضطرب.

٥-الجزع: معنى الجزع في لسان العرب: (الجزع هو الخوف والحزن وقلة الصبر) يقول تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (٢١).

ويقول تعالى في سورة المعارج: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا٢١﴾وجزوعاً: لا صبر عنده. إذن الجزع هو الخوف مع عدم الصبر، وقد ورد في القرآن الكريم لذم الكفار، لأن قلة الصبر والحزن على ما يصيب المسلم مذموم.

٦-**الرعب**: معنى الرعب في لسان العرب: (الرعب هو الخوف والفزع).

يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ١٥١﴾في تفسير الطبري: (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب: سنلقي في قلوبهم الجزع والهلع) والرُّعب هو الخوف الشديد الذي يملئ النفس ويسيطر عليها، وقيل هو أشد الخوف، وفي اللغة: رعبت الحوض أي ملأته، وسمي الخوف الشديد رعباً لأنه يملئ النفس.

٧-الروع: معنى الروع في لسان العرب: (الروع هو الفزع، راعني الأمر يروعني أي يفزعني ويخيفني)، ويقول علماء اللغة إن الروع خوف يشوبه مفاجأة وإنكار واستغراب، يقول تعالى في سورة هود: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ٧٤﴾ أي فلما ذهب عن إبراهيم عليه السلام الخوفُ الذي أوجسه في نفسه من ضيفه، فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام خاف من ضيفه واستغرب واستنكر عملهم في عدم قبول الطعام.

٨-**الوجف**: له عدة معانٍ، منها سرعة السير كما في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾، ومن معانيه أيضاً الخوف كما في قوله تعالى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾ أي قلوب مضطربة تخفق من شدة الخوف.

هذه بعض مرادفات الخوف في القرآن الكريم، وهذا بعض ما قاله اللغويون في معنى الخوف ومرادفاته

وعند العودة إلى القرآن الكريم، والتمعن في ألفاظه ومرادفاتها، والاستعانة بالتفاسير وما قاله اللغويون، وذلك كمثال على عظيم البلاغة فيه، يلمس المسلم جمال بيان القرآن، ودقة تعبيره، فيعينه على التدبر والفهم. نسأل الله العلم والتفقه في لغتنا وديننا، وأن يكرمنا بدولة الإسلام التي سترعى العلم والمعرفة الإسلامية، وتعالج ضعف اللغة العربية عند جماهير الأمة، فتعيد تدبر القرآن، وتنعش علومه عند أبناء المسلمين، اللهم آمين. ■

القوة الروحية أكثر القوى تأثيراً

بقلم: أحمد الطرابلسي

يندفع الإنسان للقيام بالعمل بمقدار ما يملك من قوى. ولذلك كان من الضروري البحث عن ماهية هذه القوى ومعرفة تأثيرها. فلماذا تتفاوت الأعمال بين الناس، منهم من يقوم بالعظائم، وكثير يعجز عنها؟

يندفع الإنسان للقيام بالعمل بمقدار ما يملك من قوى. وكلما كانت قواه أكثر كلما كان اندفاعه أكثر. ويكون مقدار ما يحققه من أعمال بمقدار ما يملكه من قوى. غير أن الإنسان يملك قوى متعددة، فيملك قوى مادية تتمثل في جسمه والوسائل التي يستعملها لإشباع شهواته، ويملك قوى معنوية تتمثل في الصفات المعنوية التي يهدف إلى الاتصاف بها، ويملك قوى روحية تتمثل في إدراكه لصلته بالله أو شعوره بها أو بهما معاً.

ولكل قوة من هذه القوى الثلاث أثر في قيام الإنسان بالعمل. إلا أن هذه القوى ليست متساوية في التأثير في الإنسان، بل تتفاوت تأثيراً على الإنسان. فالقوى المادية أضعفها تأثيراً، والقوى المعنوية أكثر تأثيراً من القوى المادية. أما القوى الروحية فهي أكثرها تأثيراً وأشدها فعالية.

اندفاع محدود:

إن القوى المادية من جسمية أو وسيلة تدفع لإرضاء شهوة صاحبها إلى العمل بمقدار تقديره لها ليس أكثر. وقد لا تدفعه إلى العمل مطلقاً مع توفرها لأنه لا يجد حاجة لهذا العمل. وعلى هذا فهي قوى محدودة الاندفاع، ووجودها وحده لا يحتم الاندفاع إلى العمل. فالإنسان حين يريد أن يحارب عدوه يزن قواه الجسمية ويبحث وسائله المادية، فإذا وجد فيها الكفاية لمحاربة عدوه أقدم، وإلا أحجم وتراجع. وقد يجد قواه كافية لسحق عدوه ولكن يتوهم أنه قد ينتصر بمن

هو أقوى منه فيجبن، أو يرى أن صرف قواه في رفاهة نفسه أو رفع مستوى عيشه فيتقاعس. فمحاربة العدو عمل يريد أن يقوم به الإنسان، ولكن لما كان يريد أن يندفع لذلك بمقدار ما يملك من قوى مادية، صار اندفاعه محدوداً بها، وصار متردداً في القيام بالعمل مع توفرها حين عرضت له عوارض بعثت فيه الجبن أو التقاعس.

القوى المعنوية:

أما القوى المعنوية فإنها تبعث في النفس تيار القيام بالعمل أولاً، ثم تسعى للحصول على القوى الكافية للقيام به دون أن تقف عند قواها الموجودة، وقد تندفع بأكثر مما تملك من قوى مادية عادة، وقد تقف عند حدّ ما وصلت إلى جمعه من قوى. وعلى أي حال، فهي تقوم بأكثر مما تملك من قوى مادية، وذلك كمن يريد أن يحارب عدوه لتحرير نفسه من سيطرته، أو للأخذ بالثأر، أو للشهرة، أو انتصاراً للضعيف، أو ما شاكل ذلك، فإنه يندفع أكثر ممن يحارب عدوه للغنيمة، أو للاستعمار، أو لمجرد السيطرة أو ما شابه ذلك. والسبب في هذا هو أن القوى المعنوية هي دافع مربوط بمفاهيم أعلى من المفاهيم الغريزية، ويتطلب إشباعاً معيّناً، فتندفع القوى لإيجاد الوسائل لهذا الإشباع، فتسيطر على المفاهيم الغريزية، وتسخّر القوى المادية، وبذلك تصبح لها هذه القوة التي تفوق القوى المادية.

ومن هنا كانت دول العالم كله تحرص على إيجاد القوى المعنوية لدى جيوشها مع استكمال القوى المادية.

طاقة هائلة:

أما القوى الروحية، فإنها أقوى تأثيراً في الإنسان من القوى المعنوية والقوى المادية، لأن القوى الروحية تنبعث من إدراك الإنسان صلته بالله خالق الوجود وخالق القوى. وهذا الإدراك العقلي والشعور والوجداني بهذه الصلة بالله يجعل اندفاع الإنسان بمقدار ما يطلب منه الخالق لا بمقدار ما يملك من قوى ولا بمقدار ما يمكنه أن يجمع من قوى، بل بمقدار ما يطلب منه مهما كان هذا الطلب، سواء أكان

بمقدار قواه أم أكثر أم أقل. فقد يكون الطلب تقديم حياته صراحة، أو قد يكون مؤدياً إلى تقديم حياته، فإنه يقوم بالعمل وإن كان أكثر مما يملك من قوى، وأكثر مما يجمع من قوى. ومن هنا كانت القوى الروحية أكثر تأثيراً من جميع القوى التي لدى الإنسان.

إلا أن هذه القوى الروحية إن كانت ناجمة عن شعور وجداني فقط، فإنه يخشى عليها من الهبوط والتغيّر بسبب تغلّب مشاعر أخرى عليها، أو تحوّلها بالمغالطة إلى أعمال أخرى غير التي كانت مندفعة لها. ولذلك كان لزاماً أن تكون القوى الروحية ناجمة عن إدراك وشعور يقينيين بصلة الإنسان بالله، وحينئذ تثبت هذه القوى، ويظل تيارها مندفعاً بمقدار ما يطلب منها دون تردد. وإذا وجدت القوى الروحية لم يصبح أي أثر للقوى المعنوية، لأن الإنسان حينئذ لا يقوم بالعمل بدافعها بل بدافع القوى الروحية فقط، إذ لا يحارب عدوّه لأخذ غنيمة، ولا لفخر النصر، بل يحاربه لأن الله طلب منه ذلك، سواء حصلت له غنيمة أم لم تحصل، ونال فخر النصر أم لم يعلم به أحد، لأنه لم يقم بالعمل، إلا لأن الله طلب منه ذلك. أما القوى المادية فإنها تصبح وسائل للعمل لا قوى دافعة عليه.

وقد حرص الإسلام على جعل القوى الدافعة للمسلم قوىً روحية حتى ولو كانت مظاهرها مادية أو معنوية، إذ جعل الأساس الروحي هو الأساس الوحيد للحياة الدنيا كلها. فجعل العقيدة الإسلامية أساس حياته، والحلال والحرام مقياس أعماله، ونوال رضوان الله غاية الغايات التي يسعى إليها. حتّم عليه أن يقوم بأعماله كلها صغيرها وكبيرها بحسب أوامر الله ونواهيه بناء على إدراك صلته بالله تعالى. فإدراك الصلة بالله والشعور بها إدراكاً وشعوراً يقينيين هو الأساس الذي تقوم عليه حياة المسلم، وهو القوة التي تدفعه للقيام بأي عمل صغر أم كبر، فهو الروح التي تقوم بها حياته الدنيوية في جميع أعماله، وبمقدار ما يملك من هذا الإدراك والشعور يكون مقدار ما عنده من قوى روحيّة. ولذلك كان واجباً على المسلم أن يجعل قواه هي القوى الروحية، فهي كنزه الذي لا يفنى وهي سر نجاحه وانتصاره.

ما يُسمّى بيومِ النَكْبَة ١٩٤٨

حمد طبيب – فلسطين

لـهيبُ الـنارِ فـي الأحـشاءِ بُـرْكانُ ... وَوجْـهُ الأرضِ والأرجـاءُ أشـجانُ
فـيومُ الـنكْبِ فـي الأعـماقِ مـوجِعُهُ ... يـَغيظُ الـنفسَ والتنهيـدُ أحزانُ
وجـمـعُ الـنـاسِ بـالأغلالِ مَـرْصَدُهُمْ ... يـنوءُ الـحِملُ والأثـقالُ ألـوانُ
ويـغشى الـكربُ والإذلالُ مـرْكِبُهُمْ* ... ويَمضي الـركبُ بـالآهاتِ خُرسانُ
تُـساقُ الـغيدُ والأطفال مـوكِبهُمْ ... كـسوْقِ الـنَعْمِ والأفواجُ قُـطْعانُ
وجـمـعُ الـذلّ والـحكامُ أمثـلُهم ... أشاعـوا القـولَ والـتسويفُ تِبيانُ
سَيُلقى الكفرُ في البيداءِ مقْبَرُهُم ... وللأسماك في الأعماق ميدانُ
ويـنـزُو الـطيرُ والأحـداقُ تـرمُقُهم ... ويـعلُو الـجوَّ فـي الآفـاقِ عُـقبانُ
فعـمَّ الـنـكْبُ والـنـكْباتُ تـتـبعُها ... ومـرَّ العـارُ: وقـهرُ الـنـارِ أشطانُ
وبـعد الـكرْبِ لم تسلمْ مهاجعُهُم ... ففجعُ النكْسِ بعـد الصمتِ أثمانُ
فشـرُّ الـناسِ فـي الإفـسادِ ديـْدنُهُم ... بـليغُ الـقولِ لـلرحمنِ قـرآنُ
ونـقضُ الـعهدِ تـاريخٌ وأزمـنـةٌ ... فـهذا الـوصفُ فـي البلدانِ مـذْ كـانوا
رسـولُ الـناس قـد عـانَى صـنائعَهمْ ... ولاقـى الـغدْرَ: والتوثيـقُ عنوانُ
فـيـا لَـلْـعـارِ والأعــرابُ صامتـةٌ ... ويـا لـلخِزيِ والأجـواءُ خـذلانُ
فأيـن الـسيفُ قـدْ تـاهتْ مـنابتُه ... وأيـنَ الـشَهْمُ للأرجاسِ فُرْقانُ
وأيــن الـنَسرُ فـي العَلياءِ مرْقَـدُه ... وأيــن العـزُّ والـتـكبيرُ نشْوانُ
فـيـا ربـاه يـومَ الـثأر نرقُـبُهُ ... ويـومَ المجْدِ يـا ذَا الـجَاهِ رَحْمانُ
أغـثـنا الـعَوْنَ فـالإذلالُ أرْهـقَـنا ... وكِـذْبُ الـقولِ فـي الإعـلام رنّانُ
أغـثـنـا النصرَ يـا اللهُ نـكْبـتَنا ... بـيـومِ الـفتحِ يـا ذا العـرشِ ديّـانُ
فـهذي الأسْـدُ فـي الأمـصارِ مـوطِنُها ... لـيومِ الـعزِّ تحصينٌ وأكنانُ
يـلوحُ الـفجرُ بـعد اللّـيل يـطرُدُه ... ويـعـلُو الـحقُّ والـراياتُ تـزْدانُ

وزير الخارجية التركي «فيدان» ينضم إلى جوقة الحكام الداعين إلى السلام والتطبيع!

قال وزير الخارجية التركي، حقان فيدان، في مقابلة مع صحيفة «نيكي آسيا» الاقتصادية، إن «إسرائيل يُمكن دمجها في نهاية المطاف ضمن بنية أمنية إقليمية جديدة في الشرق الأوسط، شريطة اعترافها بدولة فلسطينية ضمن حدود عام ١٩٦٧»، ووصف ما أسماه «فرصة تاريخية» لبناء إطار للتعاون يضم عدة قوى إقليمية، من بينها تركيا وباكستان والسعودية ومصر ودول الخليج. وأضاف أن «إيران يُمكنها أيضاً الانضمام إلى هذا الإطار مستقبلاً إذا ما توفرت الظروف المناسبة».

وفيما يتعلق «بإسرائيل»، صرّح فيدان بأن «اندماجها يعتمد على حل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني»، وقال «إذا تم حل هذه المشكلة، أعتقد أن أمن إسرائيل سيحظى بدعم كبير من دول المنطقة». كما أكد مجدداً على «الشروط التي وضعتها أنقرة للتطبيع الكامل مع إسرائيل، والتي تتمثل، في إنهاء إسرائيل عملياتها العسكرية ضد الفلسطينيين والسماح بإيصال المساعدات الإنسانية إلى غزة»، وتابع «إذا تحققت هذه الشروط، يُمكننا العودة إلى الحياة الطبيعية دون مشاكل. نسعى إلى حل الدولتين».

الوعي:

فيدان بتصريحه هذا لا شك إنما يتحدث عن وجهة نظره هو وباقي حكام المنطقة فحسب، وهو واهم إن ظن أن الأمة ترضى بما يقول أو تقبل بالتفريط الذي يعده إنجازا يستحق المحاولة، وهو ما زاد على أن انضم إلى باقي حكام المسلمين وخاصة حكام المنطقة الذين ما فتئوا يروجون لمشروع السلام مع الكيان الغاصب، وسطروا مبادرة أسموها بمبادرة السلام العربية يتعهدون فيها بالتطبيع والسلام مع كيان يهود بمجرد منحه أهل فلسطين دويلة هزيلة على أقل من ربع مساحة فلسطين إلى جانب دولة ليهود متغطرسة وتملك كل شيء!

وهذه الرؤية نابعة من افتقار فيدان إلى النظرة الشرعية لقضية فلسطين، متماهيا بذلك مع أردوغان نفسه الذي هو بدوره يستنكر على قادة كيان يهود بأشخاصهم وجرائمهم ولكنه يستثني كيانهم. فهما لا يريان إشكالية في استمرار احتلال فلسطين، بل إن المشكلة في نظرهما هي في ممارسات وسلوكيات كيان يهود، والتي إذا ما غابت أو تدبّر أمرُها زالت الإشكالية بنظرهما!

أما الأمة الإسلامية فتعلم أن فلسطين أرض خراجية إسلامية وحل مشكلتها لا يكون إلا باجتثاث كيان يهود منها، لتعود خالصة للإسلام والمسلمين، والسبيل إلى ذلك لا يكون بالمفاوضات ولا بالسلام ولا بإغراء كيان يهود بالتطبيع وبناء العلاقات، بل يكون عبر تحريك جيوش الأمة فهي المسؤولة عن تحرير فلسطين وإعادتها إلى حظيرة الإسلام.

الموقع الرسمي لمجلة الوعي: http://www.al-waie.org

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على الفيسبوك: https://www.facebook.com/alwaie.info

الحساب الرسمي لمجلة الوعي على إكس (التويتر): https://x.com/alwaiemagazine

القناة الرسمية لمجلة الوعي على الانستغرام: https://www.instagram.com/alwaiemagazine/

عنوان المجلة على الديلي موشن: https://www.dailymotion.com/alwaiemagazine